فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

الرابطة عند النقشبندية وطاعة المريد لشيخه

(س ١٠) من ع . س . ط . في سنغافورة

حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » المنير بمصر

قد كثرت الضوضاء والأخذ والرد في هذه الايام بين مجلة « الامام » بسنغافورة ومن يثق بها وبين من يسمون أنفسهم أهل الطريقة وأرباب السلوك وذلك بسبب السؤال الآتي والجواب عنه والمجادلات فيه ولأن المنار هنا له اعتبار عند أولي الابصار أحببنا ان يكون الحكم في هذه القضية لكي تقطع جهيزة صوت كل خطيب حيث قد امتلأت الاسماع نقيقا وأعمدة الجرائد سوادا والقلوب شبها فنؤمل بسط الجواب وبيان الحق بأدلته ودحض الشبه الباطلة ولا بد ان تكونوا قد كتبتم سابقاً في هذا الصدد فنرجوكم ان لا تحيلونا على ما ليس بأيدينا أثابكم الله .

أما السؤال المثير للجدال فهو : ما قولكم في الرابطة التي يلزم بها مشايخ الطريقة النقشبندية المريدين ومعناها انه لا يصح منهم ذكر الله إلا بعد احضار صورة الشيخ في قلب المريد ثم يشرع في الذكر مع حضورها ويتركه اذا غفل عنها لانه حينئذ باطل لتمكن الشيطان من المريد لخلو قلبه من صورة الشيخ وان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) دليل لهم وقوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) أمر بها أي مع التفسير المذكور الى نحو ذلك وجاء في سؤال آخر الى مجلة الامام ان من حق الشيخ ان يمنع المريد عن اجابة أبيه وأمه المسلمين إذ

ناداه ولو كان في النزع وكذا منع الزوجة عن زوجها والعكس وقد وقع ذلك هنا ومات المريض حزينا . ويقولون ان الشيخ يربي التلميذ بذلك

ومن السؤال أيضاً قولهم يجب على التلميذ متابعة شيخه بدون سؤال أو تردد ولا يجوز له ان يعترض على شيخه ولو رآه على فاحشة لانه كالنبي المرسل بالنسبة اليه ولا ينكر عليه ولا بقلبه وان عقوبة الانكار حينئذ الحرمان واوجبوا على المريد ان يعتقد انه لا يمكن ان يصل اليه مدد ولا خير من ربه الا بواسطة الشيخ لانه الوسيلة له . وللشيخ محلات للسلوك والتلقين يحشر اليها جملة من الرجال الشبان والنساء الشواب يجتمعون بها من غير محرمية بل جلهم جهال بالواجبات العينية وان الذكر وحده كاف للوصول والقرب من الله ولو ترك اكثر الفروض العينية . وقد اجابتهم مجلة الامام بالمنع في الجميع وان تلك المبادي مما تبع ضلال الامة فيها من قبلهم من الامم وان بعضها فيه ميل الى جانب الشرك وقد نقل الامام ما قاله المفسرون في الرباط الشرعي والوسيلة الشرعية وجزم بان عبادة الله لا تجوز بغير ما شرعه الله وان من زاد فيها كمن نقص منها مبتدع مردود عليه قوله وان الرابطة بالمعنى المذكور في السؤال لم يعلمها النبي احدا من اصحابه ولا علمها الصحابة احدا من التابعين وان تطهير القلوب من الصور والتماثيل ليس باولى من تطهير محلات العبادة منها . وانه يحرم متابعة الشيخ فيما نهى الله عنه ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومن شرع للعباد مالم يأذن به الله فهو ضال مضل وان اعظم مرشد واعلم طبيب ديني هو نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقد اكمل الله به الدين فلا دواء ديني نافع الا وقد بينه لنا ومن لم تشف أمراض قلبه ادوية القرآن لا شفى الله مرضه ، وان النبي ارشدنا الى دواء الوسواس وهو ذكر الله ليخنس الشيطان فمن لم يخنس شيطان وساوسه بذكر الله فهو الكاذب ومستحيل ان يخنس لحضور صورة شيطان مثله في قلب موسوس متهوس وما في السؤال من الآداب هو ضد الادب في الاسلام ولم يؤدبنا به النبي ولم يعمل به الصحابة فعلى طالب الحق أن يلزم هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ويجتنب البدع الى نحو ذلك .

واعترض اهل الطريقة بزعمهم ان الجنيد والجيلاني واضرابهما اوجدوا الرابطة بمعناها المشروح اعلاه والزام المريد بما ذكر من الشروط وان لا يمنع المريد الشيخ اي شيء اراده من نفسه او ماله سواء كان ذكرا ام انثى وان الامام واصحابه خرجوا عن الدين ومرقوا منه بإنكارهم الى نحو ذلك

وانا نسأل من المنار المنير ابداء مايراه الصواب في هذا الموضوع مع البيان الشافي فانا الى ذلك محتاجون نعد الايام والساعات والله المسؤل ان يديمكم نفعا للعباد وشجى في حلوق اهل البدع والإلحاد آمين ع · س · ط

(س ١١) من س · س · في (كوالا لمفور) في جنوب ميلاي ·

سيدي · تصدر في سنغافوره مجلة علمية ملية بلغة الملايو اسمها (الامام) يكتب فيها بعض رجال الاصلاح ومحررها رجل وطني اسمه عباس بن محمد طه وهو من خيرة شبان هذه البلاد علماً وعملا اشتهر اخيرا بمحاربة البدع والخرافات التي ألصقت بالدين·

وفي المجلة باب للفتوى وقد سئل منذ اشهر عن الرابطة المعروفة عند اهل الطريقة النقشبندية وهي إحضار المريد صورة الشيخ في القلب عند الذكر وربطه من جملة الارادة التامة واستفادة علم الواقعات حتى يفني تصرفه في تصرف الشيخ أخذا من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » · وقوله « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » · وقوله «يا أيها الذين اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » · فأفتى الامام بان الآمرين بفعل هذه الرابطة والعاملين بها ليس لهم مستند من الكتاب او السنة · وان الآيات التي جعلوها سندا لهم لا تدل على مرادهم البتة · ثم اورد اقوال المفسرين كالخازن والجلالين في الآيات المذكورة · الخ ما جاء في الجواب ـ ثم قال ـ اذاً فاحضار المريد صورة الشيخ في قلبه عند الذكر هو إشراك بالله · وهذا ماجاء الاسلام لمحوه · اوما معناه· ثم انحى على اهل الطرق الآن ونسب كثيرا منهم للدجل والتضليل · واورد لنفي الرابطة آيتين آية ·«واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً» · وآية «وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » · اه بالمعنى

فلما نشرت هذه الفتوى وهاته التصريحات التي لم يعهد لأحد من قبل هذا الشاب التصريح بها قامت قيامة شيوخ الطرق في هذه المستعمرة ونسبوا للامام ومحرره تضليل عباد الله الصالحين واوهموا العامّة ان الأمام يسعى في هدم المعتقدات وهم الى الآن يحرضون العامة بهجر الامام وعدم الاطلاع فيه . اما الحقير وكثير من متخرجي المدارس الأميرية فبقينا متوقفين حتى يأتينا من عند الاستاذ بيان شاف في هذه المسئلة التي نعلم ويعلم الكثير ان لكم القدح المعلى في حلها والله يقيكم لنا .

***

(ج) لو قلت إني من أجدر الناس وأحقهم ببيان الحق في هذه المسألة لرجوت ان اكون صادقاً ، واذا بينت السبب في ذلك رجوت أن يذعن له كل عاقل منصف ذلك بأنني قد سلكت الطريقة النقشبندية وعرفت الخفي والاخفى من لطائفها وأسرارها، وخضت بحر التصوف ورأيت ما استقر في باطنه من الدرر، وما تقذف أمواجه من الجيف، ثم انتهيت في الدين، الى مذهب السلف الصالحين ، وعلمت ان كل ما خالفه فهو ضلال مبين ، وأمهد للفصل في المسألة تمهيداً يقرب المراد من طالب الحق فأقول

قد عرفنا من طباع البشر واخلاقهم ان يألفوا ما أخذوه بالرضا والتسليم ويأنسوا به فاذا وجدوا لهم مخالفا فيه تعصبوا له ووجهوا قواهم الى استنباط ما يؤيده ويثبته ويدفع عنه هجمات المخالفين لهم فيه لا يلتفتون في ذلك الى تحري الحق واستبانة الصواب فيما تنازعوا فيه . ولو لا فشوّ هذا الخلق في الناس لما بقيت الاديان والمذاهب والأحزاب والشيع والحق في كل منها واحد لا تعدد فيه

ثم إن من اخلاق البشر أيضا ان لا يجتمعوا على شيء الا اذا اعتقدوا ان فيه خيرا لهم وقد يكون هذا الاعتقاد لبعضهم عن نظر واستدلال او تجربة واختبار وللبعض الآخر عن اتباع وتقليد لمن اعتقدوا فيهم الفضل والكمال

على هاتين القاعدتين بني التعصب للمذاهب والطرق في جميع الملل وعليه يتخرج أخذ كثير من اهل الصلاح والتقوى والعلم والعمل بالرابطة في الطريقة النقشبندية وبغيرها من البدع التي لم تكن على عهد السلف في غيرها من الطرق و بكثير من القواعد والمسائل في مذاهب الفقهاء والمتكلمين الذين جاؤا بما لم يكن عليه السلف الصالح

يذهب الرجل المشهور بالصلاح او العلم الى شيء يظهر له بحسب اجتهاده انه حق او خير فيتبعه آخرون عن استحسان لما استحسنه ومعرفة بدليله او عن محض التقليد فاذا خالفهم غيرهم فيه عدوهم منتقصين لهم تعصبا لما هم عليه فيقوى الخلاف ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك وهم الذين يحكمون الدليل ويتحرون به استبانة الحق فاذا ظهر لهم ولو على يد الخصم ولسانه أتوا اليه مذعنين، وقبلوه راضين مطمئنين

اذا تدبرت هذا فاعلم أن أئمة الصوفية وكبراءهم ماوضعوا هذه القواعد من الرابطة وطاعة الشيخ المسلك طاعة عمياء مطلقة حتى من قيود العقل والشرع عند الغالين وغير ذلك من الاصول والقواعد الا عن علم وتجربة واختبار وصلوا بها الى مرتبة اليقين بان ذلك مفيد لهم وموصل الى الغاية التي يقصدونها بطريقتهم . واعني بالعلم هنا علم النفس من حيث ادراكها وشعورها ووجدانها وصفاتها واخلاقها . وقد كان مثلهم في ذلك كمثل علماء الكلام الذين بحثوا في الموجودات و بنوا علمهم الالهي عليها وكل منهما اذا وجد في علمه مايخالف ظواهر الشرع لجأ الى التطبيق بالتأويل والتماس مايؤيده من القرآن العزيز والحديث الشريف وقد يتمحل لذلك ويتكلف اذا اعترض عليه . كذلك فعل المتكلمون الذين زعموا ان الافلاك التسعة في الهيئة اليونانية هي السموات والكرسي والعرش وكذلك فعل بعض اهل الطريق فيما ذكر في السؤال وما لم يذكر فيه من تأويل الآيات التي زعموا أنها تدل على مشروعية مايسمونه الرابطة والتوجه ولادليل في شيء منها على ذلك .

لو كان في الشرع دليل على ان ذلك مطلوب في الدين لما خفي عن الصحابة والتابعين بل لأمر به النبي صلى الله عليه وسلم وعمل به وتواتر عنه لانه مما يتعلق بجوهر الدين وهو عبادة الله ومعرفته فلا يقاس على ما يمكن ان يستنبط من القرآن من اسرار الكون التي لم تؤثر عن الصدر الأول

قال السيد الآلوسي النقشبندي في باب الاشارة من تفسير سورة الجمعة :

« وذكر بعضهم ان قوله تعالى « ويزكيهم » بعد قوله سبحانه « يتلو عليهم آياته » اشارة الى الافاضة القلبية بعد الاشارة الى الافاضة القالبية اللسانية ، وقال بحصولها للاولياء المرشدين فيزكون مريديهم بافاضة الانوار على قلوبهم حتى تخلص قلوبهم

وتزكو نفوسهم ، وهوسر مايقال له التوحيد عند السادة النقشبندية ، وقالوا بالرابطة ليتهيأ ببركتها القلب لما يفاض عليه ، ولا اعلم ثبوت ذلك دليلا يعوّل عليه عن الشارع الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، ولا عن خلفائه رضي الله عنهم ، وكل ما يذكرونه في هذه المسألة ويعدونه دليلا لا يخلو من قادح بل أكثر تمسكاتهم فيها تشبه التمسك بحبال القمر ، ولولا خوف الإطناب لذكرتها مع ما فيها . ومع هذا لا أنكر بركة كل من الأمرين — التوجه والرابطة — وقد شاهدت ذلك من فضل الله عز وجل . وأيضا لا أدعي الجزم بعدم دليل في نفس الامر وفوق كل ذي علم عليم ، ولعل أول من أرشد اليهما من السادة وجد فيهما ما يعوّل عليه أو يقال يكفي للعمل بمثل ذلك نحو ما تمسك به بعض أجلة متأخريهم ، وان كان للبحث فيه مجال ، ولأرباب القال في أمره مقال ، » اه

فأنت ترى هذا العالم الجليل الواسع الاطلاع الواقف على ما قال أنصار هذه الطريقة في الاستدلال على الرابطة والتوجه لم يعثر لهما على دليل ، ولم يرضه شيء مما قيل ، ولكنه قد راعته مكانة من جرى على ذلك من الصالحين ، وأرضاه ما وجد لهما من الأثر في قلبه وكذلك كان هذا العاجز عدة سنين ، فانني قد وجدت أثر الرابطة والتوجه في نفسي :رأيت ما لم يراه الناظرون ، وسمعت مالم يسمعه مثلي المصغون ، وشممت مالم يكن يشم الحاضرون ، ولا أحب شرح ذلك في المنار ولا الخوض في علله وأسبابه، وما ذكرت هذه الاشارة الا ليعلم السالكون لهذه الطريقة بالفعل انني لست منها كما يقال في المثل « من جهل شيئا عاداه » وانما اتكلم فيها عن عرفان ، وأحكم فيها بسلطان ،

أقول إن التوجه والرابطة ليسا من الدين في شيء ، ولا يجوز ان يعدا من العبادة المشروعة في الاسلام ، ولكن لا أقول بكفر كل من عمل أو يعمل بهما ، وانما أخشى ان يكون بعض المتقلدين لهذه الطريقة تقليدا من غير علم بالشرع ، وعرفان بحقيقة النفس ، أقرب الى الوثنية منهم الى التوحيد ، فما يكون بين الشيخ والمريد ، بل أجزم بأن من ذلك ما هو شرك جلي أو خفي ، وان كنت لا أجيز رمي شخص معين به ، يمكن للمريد العارف بعقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد و بين تخيل شيخه

عند ذكر الله عز وجل بأن يتخيل أنه جالس في حضرته يراقب أدبه وحضورقلبه في ذكره،كاين كرالله أو يقرأ القرآن أوالعلم بحضرته، وهو يعتقد انه لا ينفع ولا يضر، ولا يقصد بقبول العمل، وانما يُصمد في ذلك الى الله تعالى وحده . فمثل هذا لا يعد مشركا لشيخه مع ربه، وهو لا يشغله تخيله لشيخه عن ذكره، إذ لا يستصحب الصورة المتخيلة عنـد تصور معنى كلمة التوحيد، وذلك سهل على مريده كما يقرأ القرآن أو غيره من كتب الفنون أمام شيخه ولا يشغله وجوده عن فهم ما يقرأ . ومع هذا لايجوز له ان يحكم بأن هذا الامر مطلوب في الشرع بل يكتفي بأن ينتفع بما جربه من غير مخالفة لنص من نصوص الشرع

واما استمداد الهمة من أرواح الشيوخ فقد ضل فيه كثيرون كضلال الذين يعتقدون ان لشيوخهم سلطة غيبية يتصرفون بها في النفوس والآفاق وانهم بذلك وسطاء بين الله وخلقه يقربونهم اليه زلفى اذا أرادوا كما كانت تقول الجاهلية في آلهتها . على أن للمسألة أصلا يعد من مباحث علم النفس لا من الدين هو منشأ ضلال المفتونين عن تجربة ووجدان يظن الجاهل منهم أنه من الحقيقة المخالفة للشريعة، ويعلم العارف المحقق انه لاخلاف في الفعل، ولا منشأ للضلال الا الجهل

قد جرب أهل الطريقة ان يتوجهوا بهممهم وارادتهم الى بعض شيوخهم الصالحين أو الى بعض الصحابة أو النبيين قاصدين ان تتصل أرواحهم بأرواحهم وتستمد منها قوة مّا فيجدوا لذلك في نفوسهم أثرا حقيقيا لا يمكن لاحد ان يكابرهم فيه كما لا يكابَر أحد ولا يشكك في شعوره بالفرح والسرور أو الغم والحزن . فاذا قيل لمن جرب ذلك من الجاهلين بالشريعة انه مخالف لها فانه يشك في حقية الشريعة ولا يشك فيما هو فيه الا أن يجمع له بينهما . ولمثل ذلك قالوا ان سالك الطريق عرضة للزيغ والكفر اذا لم يكن له شيخ من العارفين الجامعين بين علم النفس وعلم الشرع فيبين له في مثل هذه المسألة ان هذا الأثر الذي يراه في نفسه من التوجه هو أثر طبيعي له ليس من الخوارق ولا من السلطة الغيبية التي لا تكون الا لله وحده واذا رآه مرتقيا في سلوكه يبين له ان براهمة الهند يعرفون التوجه والرابطة ويؤثر عنهم كثير من الخوارق الصورية والمادية التي لا تخرج عن السنن النفسية والخواص

الروحانية ؛ ولكنهم في توجههم ورابطتهم دون السادة الصوفية ، لأن الرابطة والتوجه عندهم من المقاصد التي يقفون عندها ، ويرضون من رياضتهم بثمرتها وأثرها ؛ وهما عند الصوفية من الوسائل التي يعرفون بها نفوسهم ؛ ويعرجون منها الى ان يصلوا الى معرفة ربهم ؛ فالاشتغال بهما كاشتغال العالم الطبيعي بمعرفة خواص الماء والبخار والكهرباء والضوء فان كان يقصد بذلك معرفة هذه الاشياء لذاتها مما ينتفع به في هذه الحياة المادية كان مثله كمثل البرهمي في التوجه والرابطة لا يزيد عن كونه عالما ماديا ، وان كان يقصد بها مع ذلك معرفة الله بمعرفة حكمه واسراره في خلقه كان مثله كمثل الصوفي في التوجه والرابطة وصار عالما ربانيا ؛ فالامور بالمقاصد والارادات ؛ كما بينا ذلك في تفسير ما في صدر هذا الجزء من الآيات ،

اذا عرفت هذا وهو ما عليه محققو العارفين من الصوفية تبين لك ان مسألة التوجه والرابطة من المسائل التي تعد من وسائل علم النفس وليست بحد ذاتها من الدين فيستدل عليها بالآيات والاحاديث ؛ وان علم النفس كعلم الآفاق قد يكون بالارادة طريقا لمعرفة الله تعالى وبالقصد والنية عبادة له كما تكون جميع العلوم الدنيوية كذلك . والاصل في ذلك عند الصوفية قوله عز وجل (٤١ : ٥٣ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ؛ اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ٥٤ الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا إنه بكل شيء محيط) ولما كان محيطا بكل شيء كانت معرفة غاية كل شيء موصلة اليه اذا قصد بها ذلك . ولذلك قالوا ان لله طرائق ؛ بعد انفاس الخلائق ،

وههنا ثلاث مسائل لا بد من التصريح بها وايضاحها ايضاحا لا لبس فيه . (احداها) أن كل علم حقيقي يمكن ان يكون عبادة محمودة في الاسلام اذا حسنت فيه النية وأريد به معرفة الله ومعرفة سننه وحكمه في خلقه وكذلك كل عمل نافع يراد به دفع الاذى عن عباد الله وايصال الخير اليهم . ولكن العبادة في ذلك قلبية لاصورية فلا يقال إن علم الضوء والكهرباء وعمل الادوية وصنع الآلات مما يكون مع حسن النية من العبادات المشروعة في ذاتها التي تلتمس لها الدلائل من الكتاب والسنة . ومثلها في ذلك التوجه والرابطة في الطريقة

(المسألة الثانية) إن العبادة المشروعة لذاتها التي يطالب المسلمون بهـا هي مانطق به القرآن الكريم أومضت به السنة النبوية وجرى عليه جمهور السلف وماعدا ذلك فهو بدعة والبدعة في الدين لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث واماالبدعة التي تعتريها الاحكام ، ويقال انمنها ما هو حلال وما هوحرام، فهي البدعة في أمور الدنيا علومها وأعمالها كما يدل عليه حديث مسلم « من سن سنة حسنةفله أجرها » الخ

(المسألة الثالثة) ان جميع ما يبتدعه الناس من وسائل النفع والخير في العلم والتربية والاعمال يشترط في جوازه ان لايكون مخالفا لما هو مقطوع به من أمور الدين. فاذا فرضنا ان التوجه والرابطة ينافيان ماهو مقطوع به في الاسـلام فانه لا يحل للمسلم العمل بهما . وقد علمت انهما يختلفان باختلاف العالم العارف والجاهل المقلد

ومن هـذه المسألة أنتقل بك الى القسم الثاني من الاستفتاء وهو ما يفرضون من طاعة المريد لشيخه ولو في المعصية ، وعدم انكاره عليه وان فعل المنكر ، واعتقاد انه لا يقبل له عمل ولا يصل اليه خير الا بواسطته ، ومثل هذا مما لا يحتاج فيه الى سؤال ولا جواب فان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صريح في القرآن والأحاديث ومضت به السنة فهو معلوم من الدين بالضرورة بحكم الفقهاء بردة منكره ولم يستثن الله ولا رسوله مشايخ الطريق من هذا الحكم بل كان الصحابة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور ينكرونها في أعمال الدين كالسهو في الصلاة أو أعمال الدنيا كالحرب وتدبيرها حتى يفسرها لهم ويفرق بين ماهو عن وحي وما هو عن سهو أواجتهاد غيره أفضل منه . والصوفية المحققون لا يشترطون على المريد الا حسن الظن بشيخه والادب في سؤاله وما عدا ذلك فهو من غلو المقلدين ، أو من دسائس الشياطين . ولا يقولون انعبادته لا تقبل ولا يصل اليه خير من ربه الا بواسطة شيخه بل يقولون انه لا يصل الى المقصد من سلوكه الا بتربية شيخه وهذا صحيح في الغالب

وما احتجوا به على مجلة « الامام » من «ان الجنيد والجيلاني وأضرابهما [illegible] الرابطة » فهو مدعي البطلان عند كل أحد يعرف ما هو الاسلام اذ من [illegible] لأحد من خلق الله أن يوجب على عباد الله أمراً دينياً الا رسل

الله بإذن الله وهذا الغلو في إجلال المشهورين هوسبب التقليدمنشأفساد كل دين

واذا كانت المسألة بديهية عند كل من يعرف الاسلام ، فهي من أعظم المشكلات عند جهلة العوام ، لأن الكثيرين منهم لايعرفون من الاسلام شيئاله سلطان على نفوسهم الا ما يسمعون عن الرجال الصالحين ولا علاج لهؤلاء الاتعليمهم ماهو الاسلام مع الحكمة التي يجمع فيها بين بيان الحق وبين الادب عند ذكر أهل العلم والتقوى وبيان انهم غير معصومين من الخطاوأن كثيرا مما ينقل عنهم لا تصح نسبته اليهم ، وأن افضل ما يكرمون به هو عدم الثقة بما ينقل عنهم اذا كان مخالفا للشرع ، لامخالفة الشرع اذا ادعى بعض الناس انهم خالفوه ،فان ذلك تقديم لهم على الله ورسوله ، ثم تحسين الظن بنيتهم وقصدهم فيما اخطأ اجتهادهم فيه وان المجتهد المخطئ منهم يؤجر على اجتهاده ولكن لا يتابع عليه ،

واني اذكر شاهدا واحدا من خطإ أئمة الصوفية والعلماء في اجتهادهم المتعلق بالتصوف وهوخطأ الإمام الغزالي — الذي صرحت غيرمرة بأن كتابه الاحياء كان استاذي الاول الذي حبب الي العلم والتصوف — ليقاس عليه خطأ من لا يشق له غبارا من الشيوخ الصالحين المشهورين ومنه يعلم ان كل اجتهاد خالف الكتاب والسنة فليس من الدين

كان الغزالي في سياحاته ايام تصوفه يزور المشاهدوقال ان قبور الانبياء والصالحين تزار للاعتبار بتذكر الموت والآخرة والتبرك ، فزاد على ما وردفي حديث الإذن بزيارة القبور ما سماه التبرك . ويعني بهما يجده الزائر السالك لطريق الآخرة عند زيارة المشاهد من الخشوع والحال التي تزيده رغبة في الآخرة واعراضا عن الدنيا . واستدل على مشروعية هذا ونحوه مما لم يرد في الشرع كالرابطة التي نحن بصدد البحث فيها بحديث « من بورك له في شيء فليلزمه » كأنه يقول اننا وجدنا لذلك فائدة في نفوسنا زادت في خشوعنا ووجد ان الدين في قلوبنا وذلك هو البركة لان معناها الزيادة وقدامرنا الشارع بلزوم كل شيء نرى فيه بركة لنا فنحن عاملون بأمره في ذلك

الخطأ في هذا من وجهين (أحدهما) ان الكلية ممنوعة فاننا لو جعلنا للانبياء والصالحين صورا وتماثيل تمثل لناظرها هيآتهم في الخشوع والوقار لكان لها في نفوس الناظرين اليها من التأثير ما ليس لرؤية قبورهم المشيدة المشرفة كما نرى ذلك عند غيرنا من الملل وهذا التأثير هو السبب في اتخاذ النصارى للصور والتماثيل في كنائسهم والغزالي لا يجيز هذا في الاسلام ومثله بناء المشاهد للصالحين وتشريف قبورهم واتخاذ المساجد عليها نهي عنه كما نهي عن الصور والتماثيل فثبت انه لا يجوز لنا ان نحدث في الدين ما ليس منه وان كان إحداثه لغرض صحيح وقصد حسن بل نتبع فيه ما جاء به الكتاب والسنة وجرى عليه سلف الامة ونجعل اجتهادنا في اختيار النافع لنا محصورا فيما فوض الينا من الاستقلال بأمور دنيانا .

(والوجه الثاني) ان الحديث الذي أورده يدل على ما ذكرناه من التخصيص بأمر الدنيا دون ما استدل به عليه من جعله في أمر الدين. إنه أورد الحديث باللفظ الذي اشتهر به على الالسنة ولم يروه به أحد . وما ذكره السيوطي في الدرر المنتثرة من عزوه الى ابن ماجه بعد ايراده بهذا اللفظ غير مراد ظاهره وانما مراده ان ابن ماجه رواه بالمعنى وقد ذكر نص رواية ابن ماجه في الجامع الصغير وهو « من أصاب من شيء فليلزمه » وقال انه رواه عن أنس وعائشة. أقول وقد أخرجه ابن ماجه في أبواب التجارة والكسب من حديث أنس بهذا اللفظ الذي ذكره في الجامع الصغير ومن حديث عائشة بلفظ آخر وهو « عن نافع قال كنت أجهز الى الشام والى مصر فجهزت الى العراق فأتيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها يا أم المؤمنين كنت أجهز الى الشام فجهزت الى العراق فقالت لا تفعل مالك ولمتجرك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سبب الله لاحدكم رزقاً من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له» تقول له مالك ولمتجرك القديم الذي تعودت الربح منه حتى تتركه وتقدم على ما تجهله ؟ الزم ما رأيت الربح فيه. ومعلوم ان الاوامر والنواهي المتعلقة بأمر الدنيا كهذا الامر لا يعد من التكليف الديني الذي يجب امتثاله شرعا وانما يسميه علماء الاصول أمر إرشاد يعتبر به ويعرض على المصلحة

ولا يقال إن حديث أنس عام لان عمومه في بابه على انه روي بلفظ « من

أصاب مالا من شيء، كما هو ظاهر حاشية ابن ماجه، ولان هناك دليلا يمنع جريانه في أمر الدين وهو ما ذكرناه في الوجه الاول . على ان في سنده فروة أبا يونس عن هلال . قال الذهبي في الميزان مختلف فيه ليس بقوي وقد ضعفه الازدي . ولم يكن الغزالي في أيام تصوفه وزمن تأليفه الإحياء يبحث عن علل الحديث وإنما كان يستدل ويستنبط ما يتعلق بالفضائل من كل ما يراه في الكتب حتى كتب الصوفية ولذلك وقع في الاحياء كثير من الاحاديث المنكرة والضعيفة والموضوعة. وقد عكف على الحديث واعتصم بمذهب السلف في آخر عمره وان اهتدى الى حقية مذهب السلف قبل الانقطاع الى الحديث

واذا كنا معشر المسلمين نعتقد ان الاولياء والصوفية غير معصومين من الخطإ وكنا نشاهد الخطأ الصريح في كتبهم ونراهم يخالف بعضهم بعضا ويرد بعضهم على بعض فهل يصح ان نجعل أقوالهم واعمالهم اصلا من اصول الدين

وخلاصة القول ان التوجه والرابطة ليسا من عبادات الاسلام ولا دليل فيه على كونها مشروعين ومن جعلها عبادة مشروعة في ذاتها فقد دخل في عداد الذين قال الله فيهم (٢١:٤٢ ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقوله في بيان أصول المحرمات(٣٣:٧وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون) وان ائمة الصوفية المحققين لا يجعلونها من الدين وانما يجعلها بعضهم من وسائل معرفة النفس فهما عندهم من قبيل الوسائل التي تتخذ الآن لما يسمونه استحضار الارواح وفي كل منها لابد من الواسطة ،وان المقلدين في الطريقة النقشبندية وغيرها عرضة للضلال والشرك الجلي أو الخفي اذا تمسكوا بهذه الظواهر التي لا يعرفون مراد العارفين بها فيجب عليهم اتقاء ذلك وإحكام عقيدة التوحيد التي منها ان الشيوخ الاولياء بل والانبياء لا يملكون لانفسهم ولا للناس ضرا ولا نفعا ولا هداية ولا غيرها كما صرح به الكتاب العزيز في آيات كثيرة وأن يحسنوا الظن بمن قال بالرابطة من الصالحين وقد بينا مرادهم عن علم وعرفان وهو سر من اسرار التصوف أفشيناه للضرورة والارشاد وان يعتقد مع تحسين الظن بهم انهم ليسوا حجة في الدين وانهم لا يطاعون في معصية الله. ومن أراد ان يزداد نورا في هذه المباحث فلينتظر جزء الترجمة من تاريخ الاستاذ الامام فان فيه بيانا لا يجده في كتاب

﴿ وجه المرأة الحرة ﴾

(س ١٢) من محمد رحيم افندي الشفي في « زويله باشي» بسمبر (روسيا)

الفاضل الجليل والعالم النبيل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الأغر دمت بالعز والكرامة. اما بعد فقد كثر المباحثة والمناظرة في حق وجه الحرة في طرفنا فبعض العلماء قالوا ليس بفرض ستر وجه الحرة لحديث عائشة رضي الله عنها أخرجه أبو داود وابن مردوية والبيهقي ان اسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفه وبعضهم قالوا ان ستر وجه الحرة فرض وان لم تستره تكون آثمة عند الله لقول عائشة رضي الله عنها احدى عينيها فحسبت لاندفاع الضرورة (كذا) أخذه القهستاني والزاهدي فالمأمول من سيادتكم ان يبين الحق من الاقوال لرفع النزاع من بين الناس

(ج) حديث عائشة لا تنهض به الحجة فانه مرسل وفي اسناده من تكلم فيه والاصل في المسألة قوله تعالى (٢٤: ٣١ ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) فقد روي عن ابن عباس انه قال: الظاهر منها الكحل والخدان وفي رواية عنه: الزينة الظاهرة والوجه وكحل العين وخضاب الكف والخاتم. وعن سعيد ابن جبير والضحاك: الوجه والكف. وعن عطاء: الكفان والوجه. وسئل الأوزاعي عن قوله تعالى « الا ما ظهر منها » فقال: الكفين والوجه ذكر ذلك كله ابن جرير في تفسيره وذكر أقوال من قالوا انها الثياب والحلي أو الوجه والثياب ثم قال: وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بذلك الوجه والكفان يدخل في ذلك اذا كان كذلك الكحل والخاتم والسوار والخضاب. وانما قلنا ذلك أولى الاقوال في ذلك بالتأويل لاجماع الجميع على ان على كل مصل ان يستر عورته في صلاته وان للمرأة ان تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وأن عليها ان تستر ما عدا ذلك من بدنها الا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباح لها ان تبديه من

ذراعها الى قدر النصف . فاذا كان ذلك من جميعهم إجماعاً كان معلوما بذلك ان لها ان تبدي من بدنها مالم يكن عورة كما ذلك للرجال لان مالم يكن عورة فغير حرام إظهاره، واذا كان لها إظهار ذلك كان معلوما انه مما استثناه الله تعالى ذكره بقوله « الا ما ظهر منها » لان كل ذلك ظاهر منها . وقوله « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » يقول تعالى ذكره وليلقين خمرهن وهو جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن . اه كلام ابن جرير

والجيوب جمع جيب وهو فتحة القميص على الصدر وكانت المرأة تضع الخمار على رأسها وتسدله الى الوراء فيظهر عنقها وصدرها فأمرن بأن يجعلن طرفه على الجيب ليستر العنق والصدر . ولم يؤمرن بوضعه على الوجه فلو لم يقل الا ما ظهر منها لكان يصح ان يقال ان كشف الوجه باق على أصل الاباحة فكيف وقد امر بستر الجيب ولم يأمر بستر الوجه! . وناهيك بحكاية ابن جرير الإجماع على ذلك وهو ما كان عليه النساء في عهد السلف فقد كن يأتين المساجد و يغشين الاسواق و يسعفن الجرحى في مواقع القتال و يخطبن على الرجال ويناقشن الامراء والحكام . يفعلن ذلك وأمثاله مكشوفات الوجوه . ومن جال في أرض المسلمين في الاقطار المختلفة يرى ان أكثرهن يخرجن مكشوفات الوجوه ولا يستره منهن الا بعض نساء المدن وهي عادة حكمت بها غيرة الرجال عند ما دخل المسلمون في الحضارة وانغمسوا في الترف الذي يستلزم الفسق والفجور ولذلك ترى أكثر الفقهاء عللوا وجوب ستر المرأة وجهها عن الرجال بخوف الفتنة وابتدأ هذا البحث والخلاف في القرن الثاني

هل يمكن لمكابر ان يقول ان النساء كن يصلين مكشوفات الوجوه في مسجد الرسول (ص) في حياته ولا يراهن أحد ؟ اذا كابر أحد نفسه وقال يحتمل ان الرجال لم يكونوا يرون النساء في المسجد لانهن يصلين وراءهم ولم يخش ان يقال له انهم كانوا يرونهم قبل الصلاة اذ كن ينتظرن الجماعة معهم و بعدها عند الانصراف كما هو مأثور مشهور — فهل يسفه نفسه و يقول ان الرجال لم يكونوا يرون وجوه النساء وأيديهن في أثناء أعمال الحج من طواف وسعي ووقوف بعرفة وجولان في أرض الحرم ومعلوم لكل من يعرف احكام الحج في الاسلام أن كشف المرأة

وجهها في الإحرام واجب ومن النساء من تحرم بالحج من أول أشهره فتكون أكثر من شهرين محرمة مكشوفة الوجه واليدين أينما كانت وحيثما حلت وهي مع الرجال في جميع الاعمال

ومن نظر الى كلام فقهاء القرون الوسطى الذين رجحوا تحريم النظر الى الوجه والكفين يجد انهم لم يأتوا عليه بدليل من الكتاب ولا من السنة ولا من عمل أهل الصدر الاول وانما عللوه بخوف الفتنة وسد الذريعة وقد قالوا بحرمة النظر الى وجه الأمرد وعللوه بتلك العلة ومن العجب ان امام الحرمين من الشافعية اغتر بمنع الحكام النساء من الخروج في زمنه وظن ان عليه جميع المسلمين

قال الرملي في شرح المنهاج عند تصحيح المتن لحرمة النظر الى وجه المرأة وكفيها حتى عند الامن من الفتنة : « والثاني لا يحرم ونسبه الامام للجمهور والشيخان للاكثرين وقال في المهمات انه الصواب · وقال البلقيني الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في المنهاج وما نقله الامام من الاتفاق على منع النساء أي منع الولاة لهن معارض لما حكاه القاضي عياض عن العلماء انه لا يجب على المرأة ستر وجهها في طريقها وانما ذلك سنة وعلى الرجال غض البصر عنهن للآية وحكاه المصنف عنه في شرح مسلم وأقره عليه » الخ ما ذكره ومنه انه يحرم النظر الى المرأة المتنقبة التي لا يرى منها غير عينيها ومحاجرها والى العجوز والمشوهة

وفي حاشية المقنع من كتب الحنابلة « لا يجوز له النظر الى الاجنبية قصداً وهو المذهب · وقال القاضي يحرم النظر الى ما عدا الوجه والكفين لأنه عورة ويباح له النظر اليهما مع الكراهة اذا أمن الفتنة ونظر بغير شهوة وهذا مذهب الشافعي · قال في الانصاف : وهذا الذي لا يسع الناس غيره خصوصاً للجيران والأقارب غير المحارم الذين نشأ بينهم » ثم نظر في هذا بأن فيه تجريئاً للفساق وهو مخالف لمقاصد الشرع في إصلاح أمر الدنيا والآخرة · وبمثل هذا صرح الحنفية مع أن الجميع يروون عن أئمتهم ان الوجه والكفين غير عورة وعن ابن عباس تفسير الآية بذلك

أقول مسألة الخوف من الفتنة العارضة أو سد ذريعتها لا يصح ان تجعل دليلا لتغيير حكم من احكام الدين التي كان عليها السلف بحظر أو إباحة تغييرا مطلقا كأن

يقال مثلا ان صلاة النساء مع الرجال في المساجد حرام في الاسلام، بناء على ما يقولون به من فساد الزمان، ومثله كشف المرأة وجهها . وانما يصرح بان حكم الاسلام هو كان الذي عليه السلف اتباعا للكتاب والسنة ولكن اذا عرض ما يمنع من العمل به بناء على قاعدة درء المفاسد فاننا نمتنع عنه ما دامت المفسدة متوقعة

فحاصل الجواب ان كشف المرأة لوجهها هو الاصل الذي كان عليه الناس واقره الاسلام بل أوجبه في الإحرام وادعاء حرمته في أصل الدين جناية على الدين وتحكم فيه بالرأي أو الهوى وإثبات للحرج والعسر فيه وقد نفاهما الله عنه لأن أكثر المسلمات يشق عليهن ذلك مع الحاجة الى العمل والسفر وان تحمله من نساء الامصار من تعودنه أو من كفتهن الثروة مزاولة الاعمال . ودعوى خوف الفتنة من كشفهن لوجوهن لا تسلم على اطلاقها فاننا نعرف من نساء الفلاحين والبدو السافرات من نقطع بأنهن أبعد عن الريبة من نساء المدن المتنقبات ، ولكن المرأة التي تعلم ان في كشف وجهها مفسدة يحرم عليها كشفه بلا شك

﴿ احترام المسلم لشعائر غيره الوطنية والدينية ﴾

(س ١٣ و ١٤) من ج ٠ ١ ٠ بمصر

جناب الاستاذ العالم الشيخ رشيد رضا المحترم

حبذا لو تكرمتم بابداء معلوماتكم السديدة وآرائكم المفيدة عن السؤالين الآتين وما ذلك الا حبا في الافادة والاستفادة .

— ١ — هل يجوز لأحد المسلمين ان يراعي شعائر الدولة التابع لها أم لا ؟ مثلا اذا فرض وجود بعض المسلمين التابعين لدولة مسيحية كالروسيا وغيرها هل يتحتم على الرعايا المسلمين في مثل هذه الاحوال ان يجاروا الشعب في شعائرهم مع وجود المغايرة في الاحتفالات الدينية بمعنى هل يليق بهم أن يقوموا بالاحترام اللازم لقيصر أو للحاكم اذا مر في الشوارع أو قابلوه في محله كما تفعل الرعية التي على دين ملكها أو حاكمها . وهل يشارك المسلمون في اقامة الاحتفالات التي تقوم

بها الدولة التابعين لها كاحتفالها بعيد ملكها أو بعيد وطني أو يجب تجنب مثل هذا الاحترام وهذه الاحتفالات بغير الملوك المسلمين .

— ٢ — هل يجوز للمسلم احترام شعائر غيرة الدينية أم لا ؟

مثلا إذا أراد أحد المسلمين دخول كنيسة مسيحية أو ما شاكلها وطلب منه رفع عمامة أو مجاراة الشعب في عوائده الدينية هل له ان يفعل هذا أم يمتنع .

هذا ما أردنا الاستفهام عنه من عالم خبير مثلكم فنرجو الإجابة اما عموميا في مجلتكم الزاهرة او خصوصيا باسمي والسلام

(ج) اما الاحتفالات والشعائر الوطنية فيباح للمسلم أن يشترك فيها مع أهل وطنه ما لم تشتمل على محرم في الاسلام كشرب الخمر على اسم الملك الذي يسمونه النخب وأما الشعائر الدينية فلا يجوز للمسلم ان يشارك غير المسلمين فيها كأن يصلي معهم كصلاتهم الخاصة بهم كالتي تكون منهم في الكنيسة وهم مكشوفو الرءوس متوجهون الى قبلتهم وان لم يقل قولا يحظره الاسلام . فالمحظور في هذا المقام يرجع الى أمرين-أحدهما الاتيان بما هو ممنوع في الاسلام كتعظيم صور الانبياء والصالحين أو طلب الخير او دفع الشر منهم وثانيهما العمل الديني الخاص بغير المسلمين بحيث لو عمله المسلم لعده رائيه منهم هذا ما اتفق عليه الفقهاء فيما نعلم ولعلنا نفصل القول في ذلك بعد

﴿ حديث علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل ﴾

(س ١٥) من احمد افندي محمد عطيوه بالقناطر الخيرية

المرجو من حضرة الاستاذ الحكيم السيد رشيد رضا افادتي عن هذا الحديث « علماء أمتي كأنبياء بني أسرائيل » في أي كتاب من الكتب الحديثية المعتبرة هو — وفي أي باب هو صحيح هو أم ضعيف . ولكم من الله الاجر ومني عاطر الثناء والشكر

(ج) هو حديث موضوع تجدونه في كتب الموضوعات وذكره الحافظ السيوطي في الدرر المنتثرة وقال لا أصل له» والشيخ عبد الرحمن الديبع في تمييز الطيب من الخبيث وقال « قال الدميري والزركشي وابن حجر إنه لا أصل له »

باب المناظرة والمراسلة

٥

﴿ بحث العمل بالاحاديث القولية والاحاديث الفعلية ﴾

يقول حضرة الدكتور اما السنة القولية (الاحاديث) فبعضها نسخ بالقرآن و بعضها الآخر نسخ بالاحاديث الأخرى . ونحن نقول ما الدليل الذي قام لدى حضرة الدكتور فى التفرقة بين السنة القولية والسنة الفعليـة ؟ولم لايكون النسخ فى الفعلية ؟ وما الدليل على ذلك ؟ اليس من المقرر والمسلم ان اصل كل تشريع انما هو القول؟ وهل يعرف الواجب والحرام والسنة والمكروه الى غير ذلك الا بالقول؟ الم يكن من المعلوم ان الافعال تتطرقها احتمالات كثيرة اذا لم يقارنها البيان بالقول وقد تبقى مجملة لا يتعين المراد منها الا به ؟

يقول حضرة الدكتور « فبعضها نسخ بالقرآن » ويقال عليه ان نسخ السنة بالقرآن » قد قال الامام الشافعي انه لايكون حتى حكى بعض الشافعية عنه انه قال حيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له

وحضرة الدكتور لم يذكر ذلك عنه بل نقل بعض قوله وترك البعض ودونك قول الامام في الرسالة «لاينسخ كتاب الله الا كتابه ــ ثم قال ــ وهكذا سنة رسول الله (ص) لا ينسخها الا سنته » فان جاز الاستدلال بقول الامام هناك جاز هنا والا فلا في الموضعين

وقوله « و بعضها الآخر نسخ بالاحاديث الاخرى » يقال عليه فهذه الاخرى الناسخة هل هي معلومة ام لا وهل هــذه هي المدونة عند اهل الحديث ام هي احاديث غيرها ؟ واين هي؟ ومن ادراك بها فانك قد قررت انك لا تقبل النسخ الا ان تجد الله او رسوله قال هذا ناسخ وهذا منسوخ وينقل الينا ذلك بالتواتر فهلا انصفت مناظريك ؟ ــ

وقوله « وعندنا انه لم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن »
الجواب عليه هنا ان يقال ان هذه مجرد دعوى لا يستطيع حضرته ان يقيم البينة عليها هو ولا غيره فان في السنن من الاحكام والآداب أضعاف مافي القرآن وهي بفضل الله تعالى لا تخالف مقاصد القرآن وهي مطابقة للعقل ولا يمكن ان يستغني عنها البشر ولولا خوف الاطالة لاتينا بجمل منها و بينا مالها وما عليها ومقدار الحاجة اليها فليتبع ذلك حضرته

بل نقول ولا يبعد ان القرآن محتاج الى السنه اكثر من احتياج السنة اليه . يوضحه ان القرآن الكريم ذواوجه والسنة مبينة للمراد منه تارة وشارحة ومفسرة أخرى . او تأتي بأحكام زائدة على مافيه يشرعها الله على لسان رسوله (ص) لشدة حاجة البشر اليها اظهارا لكرامة رسوله (ص) عليه وليتعودوا طاعته واتباعه كما أمر بذلك في كتابه ولئلا تجرهم الشبهات الى رد بيانه للكتاب الكريم. ولبسط ذلك محل آخر

يقول حضرته « لانها لم تكن الا شريعة وقتية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة الباقية » واقول هذه دعوى وتعليل لما شاء وكل احد يمكنه ان يدعي فاين الدليل ؟ اما قوله تعليلا لذلك نهيت الصحابة عن كتابتها فيقال عليه ان مسئلة النهي عن الكتابة والترخيص فيها هي مسئلة لاتدل على نسخ السنن النبوية باحد الدلالات مطلقاً والقاريء يرى ان حضرة الدكتور قد ملأ الكون صياحاً بالانكار على العمل بالظن فمالنا نراه قد انسل هنا الى هدم ما كان اسسه ثم يعمد الى هدم القصور اليقينية فيرد جميع السنن ويلغي طاعة الرسول (ص) التي أمر الله بها في غير موضع من كتابه والاحاديث المتواترة لفظا ومعنى في وجوب اتباعه واتباع سنته . ويرد اجماع الصحابة بل جميع الامة ؟ ماله يرد ذلك كله بالخرص والتخمين الذي لا يبلغ الى اضعف مراتب الظن بل لا يصح ان يعتبره معتبر ؟ فليعتبر حضرته بمناقضته لنفسه بنفسه

إن أمر النهي عن الكتابة لم ينقل الينا متواترا بل قد اختلف في رفعه الى المعصوم (ص) وفي نسخه وقد عارضه ماهو اقوى منه ولم ينص فيه على أن المراد منه ان السنن موقت

شرعها او انها منسوخة بعد مدة كذا من الزمن ولا انه نهى عنها لأجل ان تندثر السنن بطول الزمن . ان احدهذه الامور التي ذكرناها تمنع الاستدلال على ما قصده حضرة الدكتور فكيف يصح ان يكون ما هذا حاله معارضا لجميع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واجماع الصحابة بل وسائر المسلمين ! فطاعة الرسول ووجوب اتباع سننه معلوم بالضرورة من دين الاسلام — لا سيا اذا كان حديث النهي عن الكتابة معللا بعلة منصوصة عن روايه وهو خوف الالتباس بالمصحف . وكل من روي عنه من الصحابة النهي او الامتناع عن كتابة الحديث فهو دائر على هذه العلة كما صرحوا بذلك . ومنهم من خاف ان يقع في الوعيد على الكذابين ومنهم من نهى عن كتابة رأيه فاشتبه ذلك على الناظرين فظنوا انه نهى عن كتابة السنة النبوية وليس الأمر كذلك — فالقول بان نهيهم عن كتابة العلم او الحديث نص في النهي عن كتابة السنن النبوية هو قول بالخرص

ثم هل يجوز لمن لا يجوز العمل بالظن ان يأخذ اقوالهم في امر قد صرحوا بسببه ان يتركه ويهمله ثم يحمل قولهم على غير ما ارادوه بل على ما نهوا عنه وهو ترك اتباع السنة واعتقاد وجوب اتباعها . ثم نقول الحق ان الامور المعللة يدور حكمها مع عللها وحيث زالت العلة زال الحكم وهو هنا خوف الالتباس بالمصحف فقد وقع الاجماع على جواز بل استحباب كتابة الحديث وقال بعضهم بالوجوب وهو الحق . هذا كله اذا سلمنا ان حديث النهي مرفوع وانه غير منسوخ . ومن اطلع على القاعدة الاصولية من أنه اذا وقع التعارض بين دليلين احدهما مانع والآخر مرخص مثلا عرف ان الاجماع على كتابة السنن غير معارض لنص — لأنه بعد تساقط الدليلين المتعارضين اعني حديث النهي عن الكتابة واحاديث الامر والترخيص فيها تبقى البراءة الاصلية والاجماع ان لم نقل هو حجة فهو مؤيد لها

ونحن نسأل حضرة الدكتور هل حكم حديث النهي عام وباق ام لا ؟ فان قلت بالاخير فقد وافقتنا وحينئذ لا يصح لك الإلزام به . وان قلت بالاول لزمك ان تمنع عن كتابة جميع العلوم المستنبطة من القرآن بل اولى من ذلك كله ان تمنع عن كتابة سائر العلوم

ان كان الاختلاف في كتابة السنة قادحا في العمل بهامسوغا لاقتراح ان علة ذلك وسببه كونها شريعة موقتة — فان الاختلاف قد وقع في جمع القرآن وكتابته واول من خالف في ذلك الخليفة الاول ثم رجع الى قول عمر (رض) فهل يسوغ ان يقال ان الصدّيق رضي الله عنه لم يخالف في ذلك الا لان شريعة القرآن موقتة ؟ لا — لا — في الامرين فان قيل ان الصديق قد رجع ووقع الاجماع على ذلك . قلنا وكذلك جمع السنة وكتابتها قد وقع الاجماع عليه . والفاروق لما سأل الصحابة رأيهم في جمع السنن اشاروا عليه بجمعها ولكنه خالفهم للسبب الذي ذكرناه كما صرح بذلك هو اذ لم يحن له الوقت المناسب الذي يزول فيه خوف الالتباس ولما كان هو اذ ذاك صاحب الامر لم يستطع من أشار عليه منهم ان يفعل غير ماامضاه الخليفة

ومن تفكر في اهل زماننا بل منذ ازمان قديمة رأى صحة هذا التعليل المنصوص دراية كما هو صحيح رواية فانك تجد مصداق ذلك فيما نراه من اكباب الناس وانهما كهم على كتب شحنت بآراء مشايخهم واسلافهم حتى جعلوها كالمصاحف بل قدموها على المصحف وعلى السنة النبوية على صاحبها الف صلاة وتحية

أما قوله « ولم يعاملها النبي (ص) ولا أصحابه بالعناية التي عومل بها القرآن لتزول من بين المسلمين وتندثر » فأقول أي المعاملات يريد حضرة الدكتور؟ فان كان يريد ان القرآن يمتاز بانه كلام الله لفظاً ومعنى وانه معجز متحدى به وانه متعبد بتلاوته وانه كلام الخالق غيرمخلوق ونحوذلك فهذاصحيح وسنن الرسول (ص) لا يمكن ان تعامل بهذه المعاملة كلها — فكما ان الله جلا وعلا هو الرب والاله المعبود ومحمد (ص) عبده ورسوله وداع اليه بإذنه فلا يعامل بما يعامل به الإله مما يخص الالوهية والربوبية فكذلك كلامه (ص) لا يعامل بما يعامل به القرآن من كل الوجوه كما تقدم وان اراد ان النبي (ص) لم يعامل سنته بما يعامل به القرآن من حيثية التشريع كأن يأمر الامة بما لا يجب الائتمار به وينهاهم عما لا يجب ان ينتهوا عنه أو أنه يعتقد ذلك او ان اصحابه يرون عدم وجوب اتباعه في جميع اقواله وافعاله وفيما شرع الله من الدين على لسانه فإرادةهذا منه (ص) أو منهم هو أمحل

المحال وحضرة الدكتور نجله ان يعني ذلك فمن زعم ان محمد (ص) اوجب ما ليس بواجب وحرم ما ليس بحرام على الامة وانه يعلم ذلك ويعتقده او ان اصحابه يعتقدون ذلك او انهم لم يأتمروا به الخ فخطؤه فوق كل خطأ وافتراؤه فوق كل افتراء ومع ذلك كله هو غير مستند الى شيء يصح الاعتماد عليه حتى ولا شبهة

فقول القائل ان ما اوجبه او حرمه النبي (ص) انما هو مقيد بوقت حياته — هل يصح ويثبت بدعوى عدم الكتابة او دعوى النهي عنها أو انها لم تكتب مدونة مرتبة ؟ قد قد منا ان عدم الكتابة مطلقا لم يرد فيها الا حديث واحد قد اختلف في رفعه وسبب النهي منصوص كما قدمناه مع معارضته لما هو اصح منه

فهل يصح ان يكون ذلك الحديث المذكور ناسخا للآيات الكثيرة القرآنية المصرحة بوجوب ولزوم طاعة الرسول (ص) واتباعه — ان طاعة الله لا ينازع احد في وجوبها في وقته (ص) وبعد وفاته وانها أي طاعة الله واجبة علينا كما هي واجبة على اول الامة

لكنا نرى القرآن مصرحا بان طاعة الله مشروطة بطاعة الرسول (ص) وهل طاعة الرسول (ص) الا ائتمار بامره والانتهاء بنهيه والا لم تكن له طاعة وقد عرفت ثبوتها ودل القرآن عليها نصا كما يأتي وهي لاتكون الا في سننه القولية كما قال تعالى « وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ه من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » اما الاتباع والتأسي فيكون في الفعلية العملية والقولية

مهما يمكن لاحد ان يعبر عن وجوب اتباع احد وطاعته لا يمكنه ان يعبر عن ذلك با كثر واوضح مما عبر الله به في وجوب اتباع رسوله محمد (ص) فان كان ذلك قابلا للتشكيك لزم ان لايوجد في العالم خبر يوثق به وبدلالته

ان الله جل شأنه لم يأمر بطاعته في القرآن الا وأمر بطاعة رسوله (ص) معه بل قد يفرد الامر بطاعة الرسول (ص) ويجعلها شرطا لطاعته ولم يفرد طاعته عن طاعة الرسول (ص) ثم هو تارة يأمر باتباعه وتارة يأمر بالتحاكم اليه ويجعل ذلك من شرائط الايمان وكذلك تسليم ذلك له وعدم وجدان الحرج — وتارة يأمر بالتأسي به وتارة يقول « وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا » وتارة

يعلمنا بانه المبلغ عنه المؤتمن وتارة ينسب التحليل والتحريم اليه (ص) ثم نراه ينبه في محل آخر بانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى — وتارة يأمره أن يحكم وان لا يحكم الا بما اراه الله — وتارة يقول له « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » فجعل اتباع الرسول (ص) مقدما على طلبهم محبة الله و بابا لمحبة الله لهم وهذا لا يمكن ان يخص بقوم دون قوم وزمان دون زمان — وتارة ينهى عن التقدم بين يديه بقول أو فعل وتارة ينهى عن التولي عنه وعن امره — وتارة ينهى عن مخالفة امره وتارة ينهي عن التسوية بين دعائه ودعاء غيره وقد قرانه الداعي الى الله حتى انهم كانوا يرون اجابة غير مبطلة للصلاة وتارة وتارة يحذر عن مخالفتهم أمره «فليحذر الذين يخالفون عن أمره» الآية — وتارة ينهى ان يجعلوا لانفسهم الخيرة من أمرهم مع أمره — وتارة ينهي عن مشاقته وإن من شاقه فقد شاق الله وتارة يجعل من صفات الايمان بالله المبادرة الى طاعة الرسول (ص) الى غير ذلك من اساليب التعبير والتفنن فيه لايضاح وجوب اتباع الرسول (ص) فان القرآن ملآن من أوله الى آخره بذلك حتى القصص فانها انما سيقت للاعتبار وليطاع الله ويطاع رسوله (ص) ويتبع وليؤمن الناس بالله ورسوله (ص)

فهل يصح ان يهدم هذا كله بشبهة حديث ابي سعيد (رض) على ما فيه مما قدمناه ؟ ام هل يسوغ ان يقال ان الصحابة (رض) خالفوا ذلك كله وانهم لم يعتنوا بسنته اذا رأينا احدهم احتاط في الرواية او حكم بخلاف السنة بعذر انها لم تبلغه ولو بلغته لرجع اليها كما قد شوهد عنهم الرجوع اليها في جميع أحوالهم وهل يصح اعتبار قول من خالف ما ذكرناه كائنا من كان مالم يكن عن الله أو عن رسوله وقد عرفت حكمها في ذلك ·

فكيف يصح قول الدكتور ان النبي (ص) وأصحابه لم يعاملوا السنن النبوية بغير ما عاملوا به القرآن الا لتندثر وتزول من بين المسلمين مع ما عرفت مما قدمناه عن القرآن · ولم لم يصرح الله ولا رسوله (ص) ولا أصحابه (رض) بما صرح به حضرة الدكتور ؟

ان من تتبع أقوال النبي (ص) ووصاياه ومواعظه وخطبه يجدها موافقة لما

دل القرآن عليه ومناقضة لما زعمه حضرة الدكتور « اني تارك ما ان تمسكتم به لن تضلو كتاب الله وسنتي » والأحاديث متواترة في أمره (ص) ان يبلغ عنه وفي وجوب اتباع سننه أيضاً تواترا معنويا . أما أقوال الصحابة (رض) في اتباع الكتاب والسنة فأكثر من ان تستقصى بل ذلك اجماع عنهم وعن سائر المسلمين ـ وكل ما خالف الكتاب والسنة فانما هو عند الصحابة (رض) من الرأي المذموم وهو الظن المشئوم الذي حذر الله عنه في كتابه فحمله حضرة الدكتور على الرواية والمروي بلا بينة بل بناء على اصطلاح المصطلحين . على ان كل من سوى الرسول (ص) غير معصوم من الخطأ والسهو

هذا ولا يحيط بسنته (ص) الا مجموع الأمة وما عند الأمة من ذلك قد دون وها هو بين أيدينا فهلموا بنا الى اقتفائه واتباعه (ص) الذي لا حياة ولا نجاة لنا الا به « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » فليحذر الذين يخالفون عن أمره » الآية « ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » نسأل الله لنا ولأخينا الدكتور الهداية والتوفيق لصراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والصالحين وان يوفق من أراد له الهداية انه سميع مجيب وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله الامين وآله وأصحابه الطيبين ومتبعيهم بإحسان الى يوم الدين آمين

كتبه بيده وقاله بفمه

الحقير صالح بن علي اليافعي عفا الله عنه

(المنار) اذا اراد الدكتور محمد توفيق افندي صدقي ان يرد على هذه الرسالة فالمرجو منه ان يبين مايراه منتقدا منها بالاختصار ولا يطيل في اصل الموضوع وان يسلم بغيره المنتقد عنده تسليما صريحا

آثار علمية أدبية

﴿ ارشاد الاريب، الى معرفة الاديب ﴾

المعروف بمعجم الادباء ــ أو ــ طبقات الادباء

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الله ياقوت الحموي المولد البغدادي الدار الرومي الجنس صاحب كتاب معجم البلدان المشهور. كان غلاماً لتاجر حموي علمه ليكون عوناله في تجارته ثم أعتقه وتركه مدة ثم استعمله في تجارة سفره بها فلما عاد كان مولاه قد توفي فاعطى أولاده وزوجته شيئاً مما كان بيده فأرضاهم واتجر بالباقي وجعل بعض تجارته كتباً فكانت عونا له على ما تصبو اليه نفسه من العلم لا سيما التاريخ والادب. فألف مؤلفات كثيرة في ذلك أشهرها معجم البلدان ومعجم الادباء الذي ذكر ابن خلكان ان اسمه (إرشاد الالباء ، الى معرفة الادباء) ولكننا أهدينا منذ أشهر المجلد الاول منه مطبوعا طبعا متقنا على ورق جيد واذا باسمه الذي كتب عليه (إرشاد الاريب . الى معرفة الاديب) وكان بعض النسخ كتب عليها هذا الاسم و بعضها كتب عليها ذاك

موضوع هذا المعجم تراجم من كانوا يعرفون بالادباء في تلك العصور قال المؤلف في فاتحته (ص ٥) « وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين ، والمؤرخين والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة ، وكل من صنف في الادب تصنيفا ، أو جمع في فنه تأليفا ، مع إيثار الاختصار والإعجاز ، في نهاية الإيجاز ، ولم آل جهدا في اثبات الوفيات ، وتبين المواليد والاوقات ، وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم ، والاخبار بأنسابهم وشيء من اشعارهم ، » الخ فالكتاب من احسن دواوين التاريخ والادب وقد كان كنزا مخفيا فاظهرته همة اوربية . ذلك ان رجلا من الناشئين

في البلاد الانكليزية اسمه الياس جب كان مغرما بدرس العلوم والتواريخ العربية والتركية والفارسية ثم مات في الخامسة والار بعين من سنه فوقفت أمه مالا عظما على احياء الكتب الشرقية التي كان مشتغلا بها يصرف ريعه في ذلك وعهدت بالعمل الى لجنة من الرجال القادرين عليه وقد شرعت اللجنة بطبع هذا الكتاب بعد ماعني الدكتور مرجليوث العالم المستشرق الشهير بتصحيحه وقد هدتنا الجزء الاول منه فاذا فيه بعد الفاتحة فصلان في علم الادب وعلم الاخبار يتلوهما باب الهمزة وهو يبتدئ باسم آدم بن احمد الهروي وينتهي باسم احمد بن علي بن المعمر وصفحاته تزيد على أربع مئة منها ترجمة ابي العلاء المعري في ٤٣ صفحة فنشكر لجميع العاملين في احياء هذا الكتاب وأمثاله فضلهم ونخص بالذكر المصحح ونرجو ان يعنى طابعو الكتب في مصر ولو ببعض هذه العناية في التصحيح والاتقان

﴿ الرد على من اخلد الى الارض ، وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض ﴾

بنيت قواعد الاسلام وأقيمت أركانه على أساس العلم حتى كان من المجمع عليه عند علمائه ان جهل المكلف بما يجب عليه من أصوله وفروعه ليس بعذر في الدنيا ولا في الآخرة فالقاضي الشرعي لا يترك عقوبته اذا ارتكب موجبها جاهلا كما ان الله تعالى لا يعذره في الآخرة اذا اقترف الفواحش والمنكرات جاهلا بتحريمها . قالوا الا اذا نشأ في شاهق جبل أو كان قريب عهد بالاسلام . والعلم ما كان بالدليل فالعالم لا يكون الا مجتهدا ولذلك اجمعوا على ان المقلد لا يسمى عالما كما صرح به ابن القيم في أعلام الموقعين وقد بقي الفقهاء الى القرون الوسطى يطلقون لفظ العالم ويريدون به المجتهد كما ترى في كلامهم عن القاضي والمفتي ولكن وجد في هذه القرون من المؤلفين الجاهلين من ادعى ان الاجتهاد طوي زمنه وأن العلم بالاسلام أي بالكتاب والسنة صار متعذرا وان الواجب على جميع المسلمين هو الأخذ بما كتب في المصنفات الفقهية التي ألفها المنتسبون الى أحد المذاهب المشهورة فقام المدافعون عن العلم يردون هذه الدعوى ويبينون وجوه بطلانها حتى افردوا ذلك بالتأليف

من هؤلاء الحافظ الشهير جلال الدين عبد الرحمن السيوطي فقد وضع فيها كتابا سماه « الرد على من أخلد الى الارض ، وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض » وقد اورد فيه النقول الكثيرة عن اكابر علماء المذاهب الاربعة لأن كلامهم يقنع المقلدين المنكرين مالا يقنعهم الدليل المؤيد بنصوص الكتاب العزيز وما جرت به السنة السنية . وقد طبع هذا الكتاب طبعا حسنا في المطبعة الثعالبية بالجزائر وهو يطلب من صاحبها احمدافندي بن مراد التركي وأخيه فنشكرهما احياء هذا الكتاب النافع ونحث القراء على الاقبال عليه

﴿ ليالي سطيح ﴾

طبع الجزء الاول من هذا الكتاب الذي شرع في تأليفه حافظ افندي ابراهيم وجعله في انتقاد الاخلاق والعادات، ووصف حال الاجتماع في مصر ، وجعله حوارا مع سطيح الكاهن الجاهلي ، ذلك الكتاب الصغير الكبير ، الذي تبارى في تقريظه عالم الكتابة والتحرير ،فسالت انهار الجرائد بمدادآياته،وجرت اقلام الكتاب في فلك حسناته ، ولهجت ألسنة الفصحاء بوصف ما في مبانيه من المتانة والإحكام ، وما أودعه اسلوبه من الرقة والانسجام ، وتغلغلت افكار الحكماء في التأمل بما انطوى عليه من الحكم والعظات ، وما بينه من الامثال والمثلات ،وتلطف الناقدون في الايماء الى مافيه مما لم يخل من مثله كلام الناس ، كالتفاوت بين بعض الجمل او عصيان قوانين القياس ، فلو جمع ما كتب في تقريظ كتاب ليالي سطيح ، من الثناء والمديح ، لكان معه كليالي هجر الملال ، مع ليالي الوصال ، على ان ليالي التقريض ، هي من ليالي الوصال البيض ، جمع فيها الأدب بين جمهور من الادباء المنشئين ، و بين محبوبهم حافظ افندي ابراهيم ،

اخذ اولئك الكاتبون مسالك نقول على من يحاول بعدهم وصف الكتاب او نقده فما على المنار الا ان يجعل الوفاء بذمة حافظ عرض شيء من حكم كتابه على قارئيه ، لعلهم يهتدون الى فضله بكواكب لياليه ، فمن ذلك قول سطيح في الحث

على العناية باللغة العربيـة ونصر دولتها وذكر إمامي المصلحين : حكيم الاسـلام ، والاستاذ الامام (ص ٦٢)

«فما ضركم لو تساندتم جميعا وانتم لا تتجاوزون زمن القمر عدا ، فرفعتم من شأن هذه الدولة ، وحركتم من الخامدين ، وهززتم من الجامدين ، فاني أرا كم بين متفصح على اخيه ، ومتنبل على قرينة ، وليس هذا صنع من يريد ما تريدون ، تحاولون رد هذه الدولة الى شبابها ، بعد ان خلا من سنها ، ولو لم يتدار كها الله بذلك الافغاني لقضت نحبها ولقيت ربها ، قبل ان يمتعها بكم ويمتعكم بها ، أدركها الافغاني ولم يبق فيها الا الذماء ، فنفخ فيها نفخة حركت من نفسها ، وشدت من عزمها ، ادركها وهي شمطاء قدنهض منها بياض المشيب في سواد الشباب ، فشاب قرناها قبل ان تشيب ناصية القرن الخامس ، فسودت يده البيضاء ما بيضت من شعرها سود الليالي ، وتعهدتها همته بصنوف العلاج حتى استقامت قناتها ، و بدا صلاحها ، وقد كان الناس في ذلك العهد يدينون باللفظ ويكفرون بالمعنى ، فما زال بهم حتى ابصروا نور الهدى ، وخرجوا بفضله من ظلمات القرون الوسطى ، وقام بعده نفر ممن تأدبوا عنه فكانوا كالسيوف فرجت للرماح ضيق المسالك فانفسح للمتأدبين المجال وجال كل جولته ، وتنبه الوجدان وتيقظ الشعور وتحرك الفكر حتى أفضى الى حركة النفس ، وظهر أثر جمال الدين في النفوس العالية ، وأصبحت تبتدر كلامه الاسماع الواعية ، فكان من ذلك ان انطوى أجل التقليد ، وأن بعث الله على يديه ميت اللغة واحيا رفات الانشاء ، وغادر رحمة الله عليه مصر ولم يضع لنا كتابا نأخذ عنه ، أو مؤلفاً نغترف منه ، ولكنه ترك لنا رءوسا تؤلف ، وأفكارا تصنف ، وكأنه أحس بذلك حين أحس بالموت فكان يقول وهو يجود بنفسه : خرجنا منها ولم ندع لنا أثرا ظاهرا بين السطور ، ولكننا لم نغادرها حتى نقشنا ذلك الاثر على صفحات الصدور ، فان لم ترثوا عنا في بطون الكتب فقد ورثتم عنا في صدور الرجال ، فاذا حثوتم التراب على رجل الافغان فعليكم برجل مصر

خرج من الدنيا كما خرج سقراط لم يغادر كلاما مؤلفا ، ولم يدع مصنفا ، فلولا محمد عبده ما عرف رجل الافغان ، ولولا أفلاطون ما ذكر رأس فلاسفة اليونان

ولما سكنت أنفاس الافغاني بعد أن تجددت بذكره الانفاس ، خلفه حكيم الشرق

في دولته، ووطن نفسه على المضي في طريقته، فأسمع الناس في الحق واسمعوه، واخافوه في ذات الاله وخافوه، ولم يزل بهم حتى غلب حقه على باطلهم ثم مضى لسبيله رحمه الله

فتفتحت الاذهان، وتطلعت العقول الى البحث، وبرزت اللغة من خبائها، تجر مطارف آدابها، وأطل علم الادب Litterature من مناره مشرفا على النفوس فأرسل نوره الى الضمائر، ونفذت أشعته الى السرائر، فنمى تحت نظره الشعور كما ينمي النبات جادته الشمس بالنظر، أو كسته أشعة القمر، فلطف من كثافة النفوس، وهذب من مرارة الارواح، حتى شفّت الاولى وعذبت الثانية وبدأ دور هذه الحياة الجديدة بفضل الأدب وعلمه» اه المراد منه هنا

ثم ذكر سطيح ومحاوره الاستاذ الامام وتلاميذه في مقام ما يرجى من الاصلاح فقال (ص ١٤٤)

«قال (اي سطيح) واين مكانك من العلم، واين منك منزلة الحلم؟ قال حسبي أني من تلاميذ حكيم الاسلام، الاستاذ الامام، طيب الله ثراه، وجعل النعيم مثواه. قال اني لأرى رأيا حصيفا، واسمع قولا شريفا، فمن أي تلاميذه تكون؟ فقد سمعنا انهم فريقان فريق قد اختصه بسياسته، وفريق قد اختصه بعلمه، وقد أثنى عليهما العميد، وتنبأ لهما بالطالع السعيد، قال — لاعلم لي بما تقول. ولقد كنت ألصق الناس بالامام أغشى داره، وأرد أنهاره، وألتقط ثماره، فما سمعته يخوض في ذكر السياسة قبحها الله، ولكنه كان يملأ علينا المجلس سحراً من آياته وينتقل بنا بين مناطق الافهام، ومنازل الاحلام، ويسمو بأنفسنا الى مراتب العارفين بأسرار الخلائق، وحكمة الخالق، وكان ربما ساقه الحديث الى ذكر أحوال هذا المجتمع البشري فأفاض في شؤون الاجتماع وحاج العمران، ووقف بنا على أسرار الحياة ولم يزل ذلك همه رحمه الله يلقي في الازهر دروس التفسير وفي داره دروس الحكمة حتى مضى لسبيله، فان كانوا يسمون تلاميذه أحزابا، ويقسمون تعاليمه أبوابا، فتلاميذه حزب العلم والعرفان، وتعاليمه سياسة التقدم والعمران، على انه كان من اشد الناس تبرما بالسياسة واهلها، حتى اعلن براءته من الالتصاق بها، فقال عنها في كتاب الاسلام والنصرانية ماقال

لكنه كان يحتك بها مادعت الى ذلك الحاجة ويرصد حركاتها رصدا ، ويصد غاراتها صدا ، خشية أن تقطع على العلم سبيله ، أو ان تقف عثرة في طريق الفضيلة ، ولولا ذلك لقطعت عليه سلك أمانيه، وحالت بينه و بين ما كان يبتغيه ،فكم تلطف في ابتزاز قواها ، وتحامى جهده طريق أذاها ، حتى اذاظفر بطلبته ، وفاز برغبته ، واستمد منها ما شاء ، تحت حماية الاتقاء ، عطف على العلم بذلك الامداد، وردعليه ماسلبت يد الاستبداد ، ولعله اوهم العميد، بيقظة حزب جديد،ليردعاديته،ويفسد عليه سياسته ،في مصادرة العلم ومصارعة الحلم ، أما ترى بربك أثر ذلك في المدارس ، وما عبثت به يد ذلك السائس ، ولولا ان الامام مادهم حبل الوداد ، وجاذبهم فضل النصح والارشاد ، لاصابه ما أصاب حكيم الافغان ، وقضي على هذه الامة بالحرمان ، فلقد كان يغدو على الوكالة ويروح عنها ليدفع عنا شرة القوم ، ويصلح ماتفسده اهل الدسائس ، فكم زحزح عنا حادثا ، ودفع كارثا ، ولو كان حيا يوم دار الفلك لنا بالنحوس في دنشواي، لرأيت غير الذي رأيت من ذلك القصاص ، ولما ارتفع صوت العميد ، بذلك التهديد والوعيد، ولما نزع الى كتابة ذلك التقرير ، الذي جاء ابلغ ماتملي الضغينةعلى الموتور ، فكان فيه كثير جموح اليراع ، ضعيف ضعيف جانب الاقناع،كانه يكتب مقالة خيالية ، الى مجلة سياسية ، وقف فيها وقفة المدافع عن نفسه

لحق النبي عليه الصلاة والسلام بالرفيق الاعلى فارتدت طائفة من جفاة العرب وكادوايفتنون الناس لولا حكمة الصديق وعزمة الفاروق فما غضت الردة من شرف النبوة، ولانالت من عصمة الرسالة ،ولبث الاسلام اسلاما — ومات الاستاذ الامام فصبأ بعض حزبه كما يدعون ، واستغفر الله لهم مما يقولون ، فما غض ذلك من كرامة حكيم الاسلام ، ولامس من سيرة ذلك الامام ،

أراد بعض مريديه أن يغني غناءه وان يفعل شرواه في التوفيق بين صوالح القوم وصوالح الحنا، فرمى بنفسه في احضانهم ،وليست له مكانة الامام من نفوسهم ، ولا منزلته في قلوبهم ،فقصر ولابدع ،وأخفق ولا عجب، فان الفراغ الذي تركه الامام لا يشغله الالوف من اولئك الذين يرفعون العقيرة بالصياح ، وينعون عليه مذهبه

في الاصلاح ، ولما ظهر ذلك المريد بمظهر الاتصال بالقوم أنكر الناس منه ذلك فطارت حوله الشبهات ، وانبسطت فيه الالسن وأخذته سهام الاقلام، على انه وان اخطأه التوفيق في عمله فما اخطأه حسن القصد ولا جازته سلامة الطوية،فوجد بعض لمرائين السبيل الى تشويه سمعة الامام بعد موته ، و بالغوا في ذم حزبه ، وزادهم ضغثا ان قرأوا في تقرير العميد ماقرأوا وظنوا ان هناك حزبا يعمل،ولو اراد الله خيرا لهذه الامة لسخر لها من تلاميذ الامام من يقوم بالدعوة الى التآم ذلك الحزب الذي أودع فيه الامام من أسرار حكمته ما كشف لهم عن حقيقة المصير الذي أصبحنا نساق اليه سوقاً أعجلنا عن النظر في أمورنا فأمسينا أتباعا لكل ناعق

قال صاحبي وقد هاله ماسمعه أ كان يكون بين ظهرانيكم أمثال أولئك الامناء على تعاليم ذلك الحكيم ولا تتعلقون باذيالهم ، على اني لا أرى فيكم الا ناعيا عليهم مشهرا بهم، فان كنت لم تكذبني القول، فتلاميذ الامام حقيقون باللوم،لانهم يعلمون الحق ولا يدعون اليه . علموا ان لاحياة لهذه الامة بغير الجامعة فما لهم لا يواصلون قرع انوف الاغنياء بالمواعظ ويوالون الصياح بطلب تأسيسها فتلتقي اصواتهم بالنداء في أنحاء القطر ؟ ولكنهم سكتوا اللهم الا شاعرا منهم قد قرض قصيدة وقاضيا قد حبر مقالة في سبيل الجامعة درج كلاهما في اثناء النسيان لجمد الاغنياء عن البذل لجمود اولئك الوعاظ عن الكلام وتدفقوا في انشاء الكتاتيب حين ساقتهم الحكومة الى ذلك ولو علموا ان انتشار التعليم الناقص شر على الناس من بقاء الجهل لما بذلوا في سبيله مابذلوا فكان مثلهم في ذلك كمن يحاول النجاة من أنياب النمر ليقع تحت براثن الليث لانهم انما يستبدلون بانتشار الكتاتيب داء الجهل ولكن بداء الغرور فسبيل الاصلاح ان تنشأ الكتاب وتبنى الجامعة في وقت معا حتى اذا أخرج الاول نصف انسان أطلعت الثانية انسانا كاملا فتكفل هذا الكامل بصلاح ذلك الناقص فتتماسك الامة ويكثر فيها الدعاة الى الخير فليس بينها و بين الحياة الا ان يخرج لها العلم الصحيح رجالا يقودون الافكار و يسلكون بها سبيل الرقي . ومن رأى ان هذه الامة لا تنهض الا بتعليم مجموعها وتهذيب افرادها فقد أخطأ مواقع الرأي فكم نهضت امة بفرد واسست دعائم دولة على عزائم آحاد وفوا

قسطهم من العلم الصحيح واخذوا نصيبهم من الاقدام

وقد انصرف الناس الى الصياح بطلب انتشار العلم ونسوا ان ذلك لا يغني عنهم شيئا اذا أعوزتهم تربية القادة وعزهم بناء الزعماء فاعلم ان بناءة الرجال لا تكون الا في بناء الجامعة

قال الاديب وهل يكفي العلم وحده لصلاحنا ونحن على ما ترى من الخلق والدين : فسوق عن امر الكتاب ، وطاعة للهوى ، فلا وازع من الدين ، ولا زاجر من الخلق ، فاذا تزعزعت العقيدة ولم يطمئن الطبع قل ان ينجع في الناس علاج العلماء ، او تأخذهم صيحة الخطباء

قال صاحبي صدقت ولكن ما تراه انت خطبا كبيرا ، لم يكن في نظر الحكمة الا أمرا يسيرا ، واني اذ كر لك دواء هذا الداء وهو أيسر مما في نفسك ، فلا تتنزل أمري معك على المزاح ، ولا يصغرن في عينك ما أنا مُلقي عليك ، فرب مؤرَّب من العقد ضلت حله الحكماء واهتدت اليه خطرة من الفكر يرمي بها أحد العامة ، وتغفل عنها عقول الخاصة ، ولعلك اذا سمعت ان الدواء الناجع ، والعلاج النافع ، لا يحتاج الى مقدمات طويلة ، او فلسفة جليلة ، أصغرت ما كنت تكبر ، واستنزرت ما كنت تستغزر ، فاعلم انه اذا اقفلت أبواب المنتديات ، واطفئت أنوار الحانات ، قبل منصف من الليل ، انحرف عنكم جارف هذا السيل

هذه لندرة لا تكاد ترى في حوانيتها ساهرا ، ولا تجد في طرقاتها عابرا ، اذا انقضى الثلث الاول من دولة الظلام ، وتلك (فينا) يجمع فيها الليل بين الجفون والكرى ، ويحول الظلام بين الارجل والسرى ، فاذا شب الليل أو كاد ، سكنت حركة العباد ، فما لكم لا تأخذون نفسكم بتقليد تلك الخلائق ، وقد ائتمروا باوامر الخالق ، وما لكم لا ترجعون الى الفطرة البشرية ، او تخضعون لنواميس السنة الكونية ، فتجمعوا في ذلك بين الدنيا والدين ، ولا تعقوا اوامر الكتاب المبين ، ياويلكم أحييتم ليالي العمر بالآثام ، وأمتم أيامه بالمنام ، فعكستم الفطرة ولا بدع اذا عكست آمالكم ، وخابت أعمالكم ، خذوا مضاجعكم اذا طر شارب الظلام ، واهجروها اذا تنفس الصباح ، ففي ذلك صحة لابدانكم ، وسلامة لاديانكم

اذا شئت ان تعرف ماوراء ذلك من المنافع فاني أعد لك منها ولا أعددها منها الرجوع الى المعيشة المنزلية التي انحلت بزوالها روابط الاهل والاقارب، ويبس مابين البيوتات، فتناكر الاخوان، وتدابر الجاران، واقفرت المنازل من انس السمر والف الناس الجلوس في المنتديات حتى انهم ليوحشون في ديارهم، لقلة زوارهم، واصبح المرء في داره حاضرا كالغائب، مقيما كالنازح، يعلم من حال البعيد عنه، مالا يعلم من حال القريب منه

ومنها اجتياز العقبات، التي أقامتها المنتديات والحانات، في سبيل الاجتماعات — كان المصريون في العهد القديم الذي نسميه اليوم عهد الظلام يجتمعون في الدور والقصور وكانت سراتهم وذووا اليسار منهم يجلسون في بيوتهم للسمر فيغشاها العالم ويؤمها الكاتب ويقصدها التاجر وينتجعها الاديب فتجري بينهم الاحاديث وتقوم سوق المناقشات — يحدث الحادث فيخوضون في ذكره، وتنزل النازلة فيجمعهم الالم على العمل على ازالتها، وتطل رؤوس المشروعات فلا ينشئون يتبينون معارفها، حتى يقتلوا شؤونها بحثا، ويقفوا على وقائعها جدالا، وينزل باحدهم المكروه فلا يزالون يتلطفون بالسعي له حتى يأخذوا بيده، وينهضوا به من عثرته — عقدت بينهم الزيارات عرى المودات، فتراهم وهم كانهم أهل بيت واحد: يألم الجار للجار، ويأخذ الناهض بيد ذي العثار، بربك هل نهضت أمة بغير ادمان المجتمعات، وهل اخصبت مودة اذا هي لم يتعهدها أهلها بالزيارات، لقد جار في حكمه من قضى على المصريين باستحالة الاتفاق، وجعل تلك الكلمة التي رمى بها حكيم الافغان أساسا لحكمه، فصرفه التقليد عن النظر اليها بعين عقله، فمن اين للمصريين ان يتفقوا اذا هم لم يجتمعوا

ومنها اقتصاد المال وأنت ترى ان هذه الستة الافدنة (اي بقعة الازبكية) تكاد تبلع ما تخرجه ارض وادي النيل من الخيرات ولا يغرنك ماترى في عاصمة الفرنسيس فان اهلها من الاكياس الذين يصلون سهر الليل بالنهار لاصطياد الذهب ولكن من جيب الغريب ونحن انما نفعل ذلك ليذهب الغريب باموالنا ويسخر من جهالنا » اهـ. وهو خاتمة الجزء الاول من الكتاب

﴿ رسائل البلغاء ﴾

من مزايا مجلة المقتبس التي يطابق بها اسمها مسماها نشر رسائل بلغاء الكتاب المتقدمين وقد استحسن صاحبها ان يجمع أحاسن هذه الرسائل من مجلته ويطبعها مجموعة على حدتها ليسهل تناولها على غير قراء المجلة ففعل وقد احسن فيما فعل

صدرت المجموعة الاولى من هذه الرسائل في مئة صفحة كلها من كلام عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى وهما ممن تضرب ببلاغتهما الامثال وتشد الى كلامهما الرحال ومن اطرف هذه الرسائل رسالة ابن المقفع في سياسة الدولة وصحابة السلطان ورجاله ورسالة عبد الحميد في نصيحة ولي العهد وتعبئة الجيش. وقد عني الناشر بتصحيح هذه الرسائل معارضة على أصلها ولم يتبع سنة اكثر طابعي الكتب بمصر من اهمال التصحيح فما يوجد فيها من الغلط فالذنب فيه ذنب النساخ المحرفين مع فقر بلادنا من النسخ التي يعارض عليها الاصل · وثمن هذه المجموعة اربعة قروش واجرة البريد قرش واحد فنحث محبي الآداب والحكم وطلاب الانشاء العربي البليغ على قراءتها

﴿ سر تقدم الانكليز السكسونيين ﴾

قد اصبح هذا الكتاب اشهر من نار على علم ، وترجم باشهر لغات الامم ، ولا غرو فان تقدم الانكليز السكسونيين وسبقهم لغيرهم من الامم العزيزة التي تساويهم او تفوقهم في العلم والمدنية مما لا يماري فيه احد الا من يجهل ان الشمس لا تغيب عن سلطنتهم ، وان مئات من الملايين خاضعة لسيادتهم ، فمن جهل هذا التقدم لأمية ، او تجاهله لغروره وغباوته ، فان الامم الحية التي تسابق الانكليز في ميدان الاستعمار ، وتجاريها في تلك الجواري المنشآت في البحار ، هي الجديرة بأن تعرف سر تقدمهم ، وسبب فوزهم وسبقهم ، فانه لا يعرف قيمة الشيء من كان بعيدا عنه ، كما يعرفه من هو على مقربة منه ، لذلك كان علماء فرنسا اسبق الناس الى معرفة قيمة ما امتاز به الانكليز على غيرهم من الامم في تربيتهم وتعليمهم ، وأخلاقهم وآدابهم ، وقد ألفوا

في ذلك الاسفار الكثيرة التي يعد كتاب سر تقدم الانكليز من أشهرها ـ وكان من حسنات أحمد فتحي باشا زغلول في قومه وخدمته للغة امته ان ترجم هذا الكتاب بالعربية ـ ويسرنا ان طبعته الأولى قد نفدت وان خليل بك صادق صاحب مطبعة الشعب عني بإعادة طبعه بإذن المترجم ويزيدنا سروراً أن طبعته هذه أبهج من الأولى وأشد اتقانا ـ وقد أبقى ثمنه كما كان وهو عشرون قرشا بل هو يهديه الى الذين يؤدون قيمة الاشتراك في مجلته (مسامرات الشعب) ـ ولا ينسين القارئ في هذا المقام رفيق هذا الكتاب في غايته ومقصده واعني به كتاب (التربية الاستقلالية — أو — اميل القرن التاسع عشر) فان مؤلفه العالم الفرنسي قد اختار فيه ان تكون تربية الاخلاق واستقلال النفس تربية انكليزية ، وتعليم العلوم العالية على الطريقة الألمانية ، واني أرى ان المصريين وجميع العثمانيين أحوج الناس الآن الى مثل هذين الكتابين لأنهم في طور انتقال من حال اجتماعية الى حال، وهو طور محفوف بالأخطار التي يستعان على تلافيها بالتأسي والاعتبار ، ولا ينفعنا التأسي بأمة كما ينفعنا التأسي بالأمة الانكليزية التي هي أقوم أمم المدنية اخلاقا وأشدها محافظة على ما كان عليه سلفها من الخير والدين وتثبتاً في التشبث بالجديد

﴿ مجلة مسامرات الشعب ﴾

قد اتقنت هذه المجلة وصارت أحسن اختيارا للقصص مما كانت عليه من قبل ـ ومن آخر ما نشرته قصة لصوص باريس وهي قصة تفيد المتفرنجين من أهل هذه البلاد ان اعتبروا بها مالا تفيدهم كتب الاخلاق والوعظ بما تمثل لهم من حيل الأوربيين المقامرين على سلب أموال الاغنياء الأغبياء ، لا سيما الغرباء ، وفيها حرب عوان بين الفضيلة والرذيلة ينتهي بانتصار الفضيلة ـ ومثلها في هذا قصة سلطان الغرام وهي آخر قصة نشرت في هذه المجلة

﴿ مجلات جديدة ﴾

﴿ مجلة التذكرة ﴾ يصدرها بمصر السيد احمد خليل في كل اسبوعين مرة وهي مجلة دينية اجتماعية ونزعتها صوفية اجتهادية ممزوجة بشيء من الاصطلاحات العلمية

عند الحاجة وسننقل منها نموذجا للقراء في جزء آخر ليكون خير معرف لها . وقيمة الاشتراك فيها أربعون قرشا فى السنة لاهل مصر ونصف ليرة انكليزية لغيرهم فنتمنى لها التوفيق والنجاح

﴿ شورا ﴾ مجلة علمية اصلاحية تصدر في اورنبورغ من بلاد روسيا محررها صديقنا في الغيب الشيخ رضا الدين افندي بن فخر الدين وهو من علماء الاسلام المصلحين . وقد عرف قراء المنار شيئا من افكاره العالية وفقهه في الاصلاح مما نشرناه من ترجمة رسالة له في مطالب مسلمي روسيا من حكومتهم ولنا الرجاء في ان تكون هذه المجلة هدى ونوراً للمسلمين في تلك البلاد

﴿ النصيحة ﴾ مجلة علمية أدبية تصويرية تصدر بتونس في نصف كل شهر عربي مرة لمنشئها « الصادق بن ابراهيم » صاحب جريدة النصيحة . وقيمة الاشتراك فيها لاهل القطر التونسي خمسة فرنكات ولغيرهم ستة فرنكات فنتمنى لها التوفيق والثبات

باب الاخبار والآراء

﴿ الامة العثمانية والدستور ﴾

إذا كان المنار لا يسع عشر معشار ما نعلم من أسباب هذا الانقلاب الذي حدث في بلادنا ومقدماته ونتائجه وما نراه في أمر استفادة الشعوب العثمانية من الحرية والدستور — فذلك لا يصدف بنا عن نشر بعض الآراء والاخبار التي تذكر الكاتبين في الصحف اليومية والأسبوعية ببعض ما ربما يذهلون عنه، وتنبه القارئين الى ما ينفع التنبه له، وانني أشير الآن الى ثلاث مسائل هي أركان العبرة في هذا الباب

(١) أول شيء يجب على المنار التنبيه اليه والتنويه به هو ما يؤيد خطته في قناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة بينهم و بين من يعيش معهم من غير أهل دينهم وتعاون الجميع على ما يرقي البلاد ويرفع شأن الدولة — وفي رد طعن الطاعنين في الاسلام ، بأنه دين تعصب وعدوان، وفي المسلمين بأنهم لا يلتئمون مع أحد ممن لا يدين بدينهم، لاسيما الذين يزعمون ان العلماء المعممين، هم الذين يثون الشقاق بين العالمين ،

أؤيد هذه الخطة من الجهة الايجابية والجهة السلبية بما ظهر للعالم أجمع من أن عقلاء المسلمين هم الذين قاموا بهـذا العمل الجليل للاتحاد والمساواة بينهم وبين غيرهم وان شيخ الاسلام قد كان وما زال ركنهم الذين يلجؤن اليـه ، وقطبهم الذي يدورون حواليه ،

ان احرار المسلمين هم الذين بدءوا بدعوة الاحرار العثمانيين من النصارى واليهود في مصر وأوربا وفي الولايات العثمانية الى مشاركتهم في جهادهم ، وهم الذين اعلنوا هذا الجهاد ووطنوا أنفسهم على قتال اخوانهم من الجند اذا هم حاولوا تأييد السلطة المستبدة ثم انهم بعد الظفر بالدستور قد كانوا هم السابقين الى مصافحة الأرمن والروم وغيرهم من الشعوب المواققين لهم في العثمانيـة المخالفين في الاعتقاد وهم الذين رفعوا أصواتهم في كل مكان بأننا لا نجعل الدين مفرقا بيننا وبين اخواننا العثمانيين بل نكون معهم كما أمرنا الاسلام بالقول المشهور فيه « لهم مالنا وعليهم ما علينا » بل منهم من بالغ في قوله وغـلا في رأيه فاستحسنوا التنازل عن بعض حقوقنا ، إرضاء لماطفة بعض شعوبنا ، كالذين يرون أن يجعل جامع أياصوفيا مجلسا للمبعوثين ، ويخرج عن كونه مسجدا للمسلمين ، وهم من الترك الذين يذكرهم هذا الجامع بذلك الفتح المبين ،

هذا ما فعله مسلمو العثمانيين من البدء في الدعوة الى الاتفاق والعمل بهـا في كثير من البلاد وهذا ما ينبغي ان يفعله الباقون فان المسلمين هم العنصر الأكبر والأقوى فاذا هو علم أن الخير في الوفاق وعمل بذلك تبعه غيره بالضرورة ولو قام أحـد الشعوب القليلة الضعيفة يدعو الشعب الكثير القوي الى المساواة وهو غير مقتنع بها لما كانت دعوته مجابة ولا مقبولة

فأدعو المسلمين في جميع البلاد العثمانية الى ان يكونوا هم البادئين ببرّ غيرهم والاتفاق معهم واشتراك الجميع في الأعمال التي توثق الرابطة العثمانية وتعمر بهـا البلاد التي يتمتع بعمرانها الجميع ، بهذا تتكون الامـة العثمانية ، وتعتز الدولة العلية ، وبهذا يقطع المسلمون ألسنة القادحين فيهـم من الاوربيين ، ويكونون مهتدين في ذلك بهدي الدين المبين ،

أدعو إلى هذا مذكرا بالاعتدال فيه ، لئلا يفضي الغلو فيه الى ضد ما يراد به ، بأن يعتقد الجمهور أن كرتهم بالدستور خاسرة ، أو انهم يعمرون الدنيا بخراب الآخرة ، فيحملهم ذلك على الشنآن ، أو يدفعهم الى العدوان ، فعلى المرشد ان يكون حكيما في نصحه ، مراعيا لاستعداد الا كثرين في هديه ،

وأذكر الجميع بأن الطفرة محال ، وان ما يحصل بالتدريج يكون أولى بالبقاء والثبات ، فإذا ترك أحد الفريقين للآخر ما كان يراه حقا له ، فلا يستعجل عليه بطلب سائر ما يراه من الحقوق لنفسه ، حتى التقاليد القديمة ، والعادات الراسخة ، فان المصلح في القوم ليدعو أبناء جنسه ودينه ووطنه الى ترك بدعة من البدع أو ضلالة من الضلالات ، ويقيم على دعوته الحجج القيمة والآيات البينات ، ثم لا يستجيب له قومه الا بالتدريج ، وأرى ان من الحكمة في تلافي الشذوذ والتقصير ، ان يبادر العقلاء والصحافيون من كل أهل دين الى انتقاد أهل دينهم ولو بالعنف ، والسكوت عن غيرهم أو الاعتذار عنهم ولو بالتأويل ، هذا اذا كان الشذوذ صريحا في مناوأة أحد الفريقين الآخر ، والا اتفق الجميع على انتقاد المسيء من حيث انه مسيء ، من غير ذكر لدينه ومذهبه ، ولا اتهام قومه بمشايعتهم له ،

(٢) انتقل بالقارئ من المسألة الدينية ، الى المسألة الجنسية ، فقد كان التعصب للجنس اشد خطرا على الدولة من التعصب للدين ، فان الشقاق الديني اذا كان يقد جسم الأمة فيجعله نصفين ، فان الشقاق الجنسي يمزقه فيجعله أجزاء كثيرة ويصيب شره الجميع ، فالمسلم التركي ، يعادي المسلم العربي ، والنصراني اليوناني ، يعادي النصراني البلغاري ، وعلى ذلك فقس

لو بدأ بالدعوة الى ترك العصبية الجنسية العربي او الكردي او الألباني او الأرمني أو الرومي او البلغاري لما سمعت للبادئ من هؤلاء دعوة ولما كان لها من الوقع والتأثير عشر معشار ما كان لمجاهرة التركي بها ، لان الترك هم اصحاب السلطة في الدولة فهم من هذه الجهة كالمسلمين من سائر الملل فلما قال أحرارهم هلموا ايها ايها العثمانيون نترك التعصب للجنس ونشترك بلقب واحد لا يقصد به امتياز جنس على آخر لباهم الجميع حامدين شاكرين . فوجب ان نخص الجنس التركي

بالثناء الحسن قبل ان تتناسى او ننسى انا أجناس مختلفة . ولا بدع في جهر الترك بذلك فانهم كا صرحنا منذ بضع سنين أرقى العثمانيين تربية وتعليما واعلاهم أدبا وتهذيبا

(٣) بعدذ كر مسألتي الدين والجنس اذ كرشيئا من عمل الجمعية التي تلافت ضررهما وسعت مع غيرها لخير العثمانيين كافة . ينضم العثمانيون الاحرار الى هذه الجمعية ـ جمعية الاتحاد والترقي ـ ويعمل الجميع لحفظ الدستور الذي نالوه بعد السعي الحثيث اليه حتى اندمجت الجمعيات فيها او كادت ، وتدامجت معها كما أرادت ، وان هؤلاء الاحرار المتحدين في هذه الجمعية هم الذين يديرون نظام المملكه الآن ، وقد ظهر من كفاءتهم واعتدالهم ماجعلهم موضع إعجاب الامم والدول الاوربية كما تنطق جرائدها بلغاتها المختلفة . وقد مرّ على اعلان الدستور شهر أوا كثر ولم يبلغنا ان احدا انتقد على الجمعية عملا من الاعمال أوأدبا من الآداب على ان اوربا تراقبها مراقبة الناقد البصير الذي لا يحابي ولا يداهن حتى قلنا ان « مجلس المبعوثين » لا يرجى ان يكون خيرا منها في الادارة والاصلاح ، ولا أقرب الى العدل والانصاف .

ينحصر عمل الجمعية الآن في ثلاثة مقاصد (١) تطهير الدولة ملكيتها وعسكريتها من المفسدين الذين ناط بهم الاستبداد السابق أمورها (٢) تقوية استعداد الامة للحكم الدستوري (٣) تحسين الصلات بين الدولة العلية ، و بين جميع الدول الاوربية ، لا سيا ذوات السبق الى الحرية كانكلترا وفرنسا

اما تطهير الحكومة من رجس اعمال الاستبداد السابق فالمبادرة اليه من اهم الضروريات قبل ان يجتمع مجلس المبعوثين وتلقي اليه الجمعية مقاليد السيطرة والمراقبة فانه ليعجز ان يعمل في عدة سنين ماتعمله هي في هذه الاشهر التي تتقدم اجتماعه كما يظهر لنا من الطريق السويّ الذي سارت عليه في ذلك . فقد بدأت بتطهير المابين والباب العالي ونظارة الحربية واكثر الولايات في وقت واحد . فأخرجت من المابين رؤساء الفتنة والفساد وعزلت السرعسكر رضا باشا وناظر الداخلية ممدوح باشا وسجنتهما مع تحسين باشا رئيس كتاب السلطان والشيخ أبي الهدى احد مستشاريه وفر من رؤساء المابين عزت باشا ونجيب باشا ملحمه وسليم باشا ملحمه الى اوربا . واخرجت من المابين اكثر الحجاب والكتاب والخدم

وممثلي الروايات وأجواق الموسيقات من النساء وحددت نفقات السلطان وراتبه الشهري ونفقات قصره وجعلت جميع بطانتــه من الأحرار أعضاء جمعيــة الاتحاد والترقي فآل الامر الى أن وضع هو على صدره شارة الجمعية وقال انه رئيسها

وكثر العزل والنقل في المعسكرات وهـذا ضروري جدا لتكون الجمعية واثقة من القوة التي هي سياج الدستور وعماد الأمن . وكذا في الدوائر الملكية . ولما رأى كثير من الخائنين ان إخوانهم في الفساد والتخريب يعزلون بادروا الى الاستقالة فكثرت بذلك الاعمال التي ليس لها الآن عمال ، واختيار الابدال عسر جدا مع تحري الأكفاء أصحاب النزاهة؛ فلذلك نرى انه يجب على الجمعية ان تقبــل من عمال الاستبداد من لم يعرف بالتجسس ولا بالرشوة ، وان كان ممن جرواعلى مصانعة القوة ،وان تجري في ذلك على سنة التدريج فان في العجلة مفاسد كثيرة ،

واما تقوية استعداد الامة للحكم الدستوري ومقت الاستبداد فقد سارت الجمعية فيها على الطريقة المثلى بتأسيس شعب لها في كل مدينة يرتبطون باللجان العليا في الاستانة وسلانيك وأوربا ، وبحمل الشعب على المظاهرات وبجريته على الخطب الحماسية في تقبيح الحكومة السابقة حتى افرط بعض الناس في ذلك افراطا لاتحمد عاقبته

ثم اننا نرى بعين البصيرة ونسمع من اخبار البلاد أن كثيرا من المنافقين اعوان الاستبداد السابق ومحبيه يتهافتون على الدخول في شعب الجمعية تعززا بالقوة وا كتسابا من السلطة، لاحبا في الدستور وحرصا على الحرية ، ولـكن قلما يرتقي هؤلاء بانفسهم الى ان يكونوا اعضاء عاملين في الجمعية ، كما صار يدعي كل من كان يطعن في الدولة انه من الاحرار طلاب الدستور . ونرجو ان يوفق الاعضاء الصادقون الى تمحيص شوائب هؤلاء الاوشاب أو الى محقهم وتزكية الجمعية من نفاقهم

هذا — وان في البلاد نوعا من جرائم الفساد لم يبلغنا ان الجمعية قررت إزالته على شدة خطره على الحرية . الا وهو عصابات الفساد من أشقياء الاهالي الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ويأوون الى بعض الوجهاء فينقذونهم من الحكام بالرشوة حتى بلغ من استهانتهم بالحكومة في بعض البلاد ان زالت هيبتها من قلوبهم وصاروا يأتون المنكرات على مرأى من شرطتها وهم آمنون مطمئنون

فيجب على الجمعية ان ترشد الحكام الاحرار الذين تقيمهم الآن الى تعقب هؤلاء الاشقياء وتربيتهم بالشدة التي لا يطمعون معها في عودتهم الى مثل ما كانوا عليه في أيام الحكومة السابقة والا كانت فائدة الحرية للاشرار وغائلتها على الابرار

وأما المقصد الثالث من مقاصد الجمعية وهو موادة الدول الاوربية ، فقد كانت فيه احزم واحكم منها في سائر أعمالها الحسنة ، ولا نرى فيه شائبة نذكر بها الا الاحتراس من جفوة المانيا والنمسا والله الموفق فنسأله حسن الختام

﴿ المجلس النيابي لمصر ﴾

ذكرنا في الجزء الرابع من منار هذه السنة أن انكلترا عازمة على انشاء مجلس نيابي في مصر وقد تلقى جمهور المصريين هذا الخبر بالدهشة والاستغراب وعدوه مناقضا لما يستنتج من سيرة المحتلين في مصر وتصريحات لورد كرومر في تقاريره وناظر خارجيتهم في مجلس النواب بلندره ، وكنا نظن ان حركة القبط التي شرحناها في الجزء الخامس مما يحتمل ان يحمل الانكليز على إرجاء السماح بانشاء هذا المجلس الى أجل حتى جاءنا نبأ جديد من أنباء أوربا السرية العالية بأن القوم لا يزالون على عزمهم وان مجلس النواب المصري يوشك ان ينعقد في السنة القابلة

لا أقول ان كتابات القبط التي تتابعت على لندره لم يكن لها أثر فيها وانما أقول انه قد عارضها اعلان الدستور في الدولة العلية واضطرار حكومة بريطانيا لإظهار الرضا والابتهاج به وما اضطرها الى ذلك الا اخلاق شعبها وتقاليدها القديمة الراسخة في حب الحرية ونصر الاحرار أينما كانوا وحيثما وجدوا ، فرأت وزارة الاحرار الانكليزية انه لا يليق بها ان تظهر الميل الى الدستور في مكان والميل عنه في مكان آخر على ان الانكليز قوم يجارون الطبيعة ولا يقاومونها ويعملون في كل حال ما يرونه يليق بها

ويوشك ان يكون للوفد المصري الذي سافر الى لندره بزعامة اسماعيل باشا أباظه تأثير حسن في المسألة فان انكلترا يصعب عليها ان تؤدي هذه الخدمة لمصر بطريقة يسهل فيها غمط حقها وانكار فضلها وإسناد عملها الى غيرها مع انه لا يمكن ان يتم في مصر أمر عظيم بدون رضاها ما دامت جيوشها محتلة فيها

كيف نستعمل الحرية (*

ايّها السادة الاحرار

وقفت غير مرة مثل هذا الموقف بعد اعلان الحرية ، وكنت في مواقفي الأول أرسل القول إرسالا ، لأن المواضيع متوفرة ، والشعور بالحال اطلق اللسان من عقاله ، وفكّ الافكار من أصفادها ، بعد أن لبثت مدة ترسف فيها ، حتى كدنا نيأس من انتهائها ، مع علمنا بأن لكل بداية نهاية .

ولكنني الآن اتلو عليكم خطبتي تلاوة ، لأنني سُئلت ان اتكلم في موضوع لا اتعداه ، ومرتجل الكلام لا يستطيع حصره في موضوع واحد ، لأن الخطب الارتجالية حرّة مثلكم ايها السادة فهي تأبى التقييد ، وقد جعلت موضوع خطابي هذا « كيف نستعمل الحرية » لأننا احوج الى هذا الموضوع الآن من سائر المواضيع

خاض الخطباء في تعريف الحرية وحدودها ، حتى كادوا يضعون لها قيودا ، ويخرجونها عما وُجدت له ، ولوكانت ذات شعور لعجبت كيف يحاول تقييدها طالقوها

وكاد قوم بهذه النواحي يشوهون وجهها الجميل ، ويشوشون مفهومها المستبين ، فظنوا ان الحرية تبيح للناس امتهان حكامهم ، والتعدي على صالحهم وطالحهم

سادتي : ان من يدفع عن مركزه بقوة ، انما يرجع اليه مثل القوّة التي دفع بها ، فإذا كانت المظالم زحزحتنا بقوتها الوحشية عن مكاننا ، فنحن لا نرتكز في نقطة الا اذا دفعنا تلك المظالم في صدرها ، وانحينا باللائمة على القائمين بها

الشعب الذي يغلو الحكام في ظلمه ، يجب ان يتطرف في الحرية متى نالها الحاكم المسترسل بالظلم ، الملوث بالرشوة ، لا يفيقه من سكرة الاستبداد الا التقريع الفظيع ، والتنديد الشديد ، فهو كالعضو المخدّر ، لا يحسّ الاّ بالوخز المؤلم وربما لا يحسُّ به

---

*) خطبة من الخطب التي القاها في احدى احتفالات الحرية ببيروت السيد حسين وصفي رضا شقيق صاحب هذه المجلة (المنار)

كل هذا ايها الأخوان لازم بل واجب ، ولكن لا يسوغ ان نجعله ديناً لنا حتى كأنه هو المقصود بكلمة الحرية ، إذاً نكون صرفنا الحرية عن معناها، ولم نعرف كيف نستعملها ، وحاشا ثم حاشا ، وكلا ثم كلا

أيها الشعب السوري العظيم، يا سلالة الفينيقيين الذين ادهشوا العالم ، الذين لم تهب سفنهم هجمات امواج المحيط الاعظم، الذين ملأ ذكرهم بطون التواريخ ، انني أحييك واهش لك ، احييك باسم الحرية ، واناديك بملء ماضغيّ : انت أسمى من أن تضع الحرية في غير موضعها ، وانت احق بها واهلها ، بل إنما وجدت لتكون لك قبل كل البشر

الحرية هي تمتع الشخص بما لا يضير به سواه ، وصيانة الافراد من عبث الحاكمين، وسهولة سلوك السُبُل التي من شأنها إعلاء شأن الأمة ،وتبسط ابنائها في الحضارة والعمران ، وعدم استكانتهم للظلم والهوان

ابيح لنا القول ايها الاخوان ، فاسترسلنا في القول ، والقول مقدمة للعمل فيجب ان نعمل أيضا

وضح لنا المنهج المعين الذي ارتوى منه الافرنج قبلنا ، فلا يحسن بنا ان نرتشف منه ارتشافا، بل يجب ان نبتلعه ابتلاعا اذا قدرنا

أتيح لنا ان نعمل ما نشاء ، فلا يليق بنا ان نعمل ما من شأنه إضعاف قوانا وإنهاك جسومنا ، بل يجب ان نعمل على ما يرفع شأننا ، ويجعلنا في مصافّ الأمم الحية الراقية ، وبذلك نحسن استعمال الحرية

الجمعيات هي اساس النجاح ، ودعائم الرقي ، فيجب ان نؤسس جمعيات ، لا يسوغ ان تكون جمعياتنا لطائفة من الناس ، لا يجوز ان تكون اسلامية أومسيحية أويهودية مهما كانت وجهتها ، وأنى كان قصدها ، بل يجب أن تكون عثمانية بحتة، انتم عثمانيون ايها الاخوان ، فيجب ان تكون جمعياتكم عثمانية ، الجامعة التي تنضمون تحت لوائها هي العثمانية ، فاجعلوها جمعياتكم كذلك تحسنوا استعمال الحرية

عاشرت اثنين ايها الناس منذ بضع سنين اسمهما مشترك بين المسلمين والنصارى وانا للآن لا اعرف ان كانا مسلمين او نصرانيين ويجب ان تكونوا انتم كذلك

ايضا ، يجب أن تتعارفوا بعثمانيتكم لا بمذهبكم ونحلتكم ، أليس كذلك ؟ بلى بلى

المدارس الوطنية هي كل مانحتاجه الا ن ، لننهض من كبوتنا ، ونُقال من عثرتنا، وليس عندنا الآن مدارس وطنية بالمعنى الذي أريده ، أريد بالوطنية التي تضم الفرق والنحل ، وتنشئ طلابها تنشئة واحدة ، غايتها اعلاء شأن الوطن ، ووقاية الحرية بالمهج والأرواح ، والمدارس هي نبت الجمعيات وبنتها فمتى انشئت الجمعيات فقد أسست المدارس ،فانشئوا الجمعيات انشئوا الجمعيات تحسنوا استعمال الحرية

الجرائد هي القوة الكبرى والمدرسة التهذيبية ،وهي ميزان اعمال الامة ،وعنوان حالها ،وهي المسيطر الرقيب على الحكومة بل ان رقابتها تتناول كل شيء ،وهي قائد الامة الى مواطن السعادة والهناء ،والصادفة بها عن معاطن البوار والشقاء ،فيجب ان ان تكثر الجرائد بيننا ويعم انتشارها وبذلك نحسن استعمال الحرية

الخطابة هي مدرسة الشعوب الثانية بعد الجرائد ، ولها من العوامل فى التأثير الكبير ،ومن البواعث على العمل المفيد ،مايرفع ويعلي ، وينتاش الأمم من الحضيض الاسفل ، وينيف بها على يفاع المجد والسؤدد ، واذا كانت الجرائد للقراء فقط فان الخطب يتناولها سمع القارئ والأمي ، ويستفيد منها العامل والجاهل ، والنشيط والخامل ، والصانع ، والزارع ، بل هي لكل احد ، والخطابة الحرة وكانت ولاتزال من الدعائم التي يشاد عليها بناء التمدن الباهر ، ويرتفع بها صرح المجد الحقيقي ، فالمنابر المنابر ! ! لا تهملوا شأنها ، ارفعوا اعوادها ، ليرن صوت خطبائها ، ليهتفوا فلتدم الحرية ، فبذلك نحسن استعمال الحرية

التآلف بين الفرق والنحل هو الضامن الوحيد لبقاء وحدتنا ، واجتماع قوانا ، والمحافظة على حريتنا ، وبه نرد عادية المظالم ، وندفع غائلة الظالم ، وهو الذي يجعل مجموع أفراد الأمة كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، كما ورد في الحديث الشريف ، فيجب ان نتآلف ،يجب ان نتآلف ، يجب ان نتآلف ، لنحسن استعمال الحرية ، فليدم التآلف

ان استعمال الحرية يكون بالسير على النهج الذي أشرعته لكم أيها السادة ،

وثمة شؤون أخر ، يضيق مثل هذا الموقف عن استيعابها ، ولنا من حزم رجالنا خير كفيل للسير على النهج السوي ، والطريق المعبّد ، والأمل معقود على ان يبنوهْا بالعمل لا بالقول

بقيت لي كلمة أراني ملجأ الى الجهر بها ، قبل نزولي عن هذا المنبر ، تلك الكلمة هي إعلان استيائي واستياء العقلاء ، ممن يذهبون إلى أن الحرية منحة أو هِبة من شخص معلوم ، ان هذا القول لا يليق صدوره من الأحرار ، إنه كذب وخيانة ونفاق ، وليست هــذه الخصال من الحرية في شيء ، ان الحرية هي حق للشعب يسلبه منه بعض الظالمين سلباً ، فنيلُ الشعب له انمــا هو استرداد لحقه المغتصب منه ، وليس من الهبات والمنح ، الحرية ليست ملكاً للحاكم ولا للسلطان فكيف يهب الانسان ما ليس يملك له

هذا وانني أشكر لجيشنا الباسل سعيه الكبير ، وعمله العظيم الذي خالف به كل جيوش العالم ، منذ وجد الجيش وأسست الجندية ، فان الجيوش في كل الأدوار والأجيال ، كانت يد الظالم القوية ، يستعين بها على قتل روح الحرية ، ولا أذهب بالاستشهاد بكم بعيدا أيها السادة ، بل ألفت انظاركم الى فظائع جيش العجم ، ومنكرات جيش روسيا ، وكيف يمثلون بطلاّب الحرية أقبح تمثيل عملاً بإرادة المستبدين ، وتنفيذاً لمقاصد الظالمين ، فليمت المستبدون ، وليسحق الظالمون

واشكر أيضا لرجال جمعية الاتحاد والترقي العثماني ، ولــكل رجال الاصلاح الذين وقفوا حياتهم ، وخاطروا بأرواحهم ، في سبيل استرجاع الحرية ، وأصرح بأن جمعيتهم قامت بما لم تقم به جمعية في العالم منــذ أسست الجمعيات ، فانها كانت سببا في إحياء شعب بأسره ، لأن الشعب المستعبد هو والميت شرَع ، هــذا مع اعترافي بما للجمعيات من الأثر المحمود في خدمة النوع الانساني

واسأل الله أن يوفقنا للسير على ما يعلي شأن أمتنا ، ويرفع مقام دولتنا ، ويحفظ علينا نعمة الحرية ما دامت السموات والأرض ، اه

(المنار) جاءنا من بيروت ان الجمع المحتفل قد صفق للخطيب صفيقا شديدا ، وهتف بالدعاء له وللمنار هتافا كثيرا ،

الفصل الحادى عشر (*

(الحب الشريف)

إن أشرف السير سير أهل الفضيلة وما الفضيلة الا من خصائص النفوس فمن كان من عشاق الفضائل حسن به أن لاتفتر نظرات بصيرته الى النفس فهي مستقر الخوارق ، ومستودع العجائب

النفس مجلى الآيات الكبر ، ومهبط الفيوضات العلى ، والمرآة العظمى التى ينكشف بها الازل والأبد، والمطبعة العظمى التي ترتسم بها الاشياء وتتكثر الصور ،

هي السلك الممدود بين مبدع الطبائع ، ومقيم الشرائع ، وبين الجواهر المتألفة الصامتة ، والظواهر المسخرة المطيعة ، فهي خليفة عليها ، واقفة على خطواتها ، مشرفة على حركاتها ، وهي مجذوبة من طرف اليها بجاذبية الانس والعادة ، ومجذوبة من طرف آخر الى مصدر بوارقها بجاذبية الحب والشوق ، فبانجذاب النفس الى الظواهر تأخذ الظواهر حظها من الانكشاف ، وبانجذاب النفس الى مانح الظهور تأخذ النفس حظها من الشهود والاشراف ، فيحق لها في الحالتين أن تمجد بما ميزها به فاطرها تباركت عظمته ، وتعالى شأنه ،

أعظم خصائص النفس الحب والبغض بل ان هاتين الطبيعتين المتضادتين أعظم نواميس الا واكوان لوجودات كلها ، لكن اختلفت

*) من سيرة السيدة خديجة

المحبات ، وتباينت الاشواق ، وأوتيت النفس الانسانيـة أعظم نصيب من هاتين الطبيعتين لاتساع المحيط الذي تدور فيه، ولاتصالها بعالم الحس وعالم الغيب، وترددها بالانجذاب بينهما فهي ان وقفت يوماً مع الظواهر أنست بها فعشقتها لما رش عليها مبدعها من الحسن الذي هو وصفه ، وان ارتفعت الى المبدع دهشت فتولهت فتدلهت لما هنالك من المجالي الازلية التي تطير السرائر شوقاً الى التمتع بها

الفضائل والرذائل ، الخيرات والشرور ، الحزن والسرور ، الرغبة والرهبة ، الاقدام والاحجام ، الكسل والنشاط ، الارتفاع والهبوط ، كل ذلك من مبتدعات الحب والبغض وآثارهما . وكل درجة من هـذه الاشياء فانما هي على مقاييسهما ، هما بالاختصار ركنا السعادة والشقاء، فمن هدي الى تصرفهما والجري بهما على سنة مثلى فقد أهديت اليـه السعادة وأوتي بالحب الشريف والبغض الشريف حظا من الخـير عظيما



كانت السيدة « خديجة » ذات قلب طاهر والقلب الطاهر مركز الحب الشريف فماذا أحبت سيدتنا هذه؟كان قلبها تواقاً الى معالي الامور، عظيم الشغف بمحاسن الاخـلاق ، وقد أمد الله فطرتها امـداداً عظيما فقويت معرفتها بالمكارم ، وعظم علمها بأن الفضائل هي التي تليق بالانسان سواء وقفت نفسه مع هذه المحسوسات أم أرادت أن تندرج في زمرة عشاق المجالي الازلية

عرفت هذه السيدة صلة النفس الانسانية بمن منه انشقت أسرارها،

وانفتقت أنوارها، فكان لها تشوّف الى جود عظيم يفيض عليها من العناية الربانيـة ، كما هو شأن ذوي السرائر الصافية، وحصل لها من هـذه الحالة الطيبة قوة فراسـة والفراسة نور فكانت تهتدي بها فيما هي حائمة الروح عليه من الفضائل، ومن أحب شيئاً أحب أهله من أجله، فلما عرفت ابن عبد الله ووجدت فيه مايمشق من المزايا العلية، انتثرت حبّة من تلك المحبة الشريفة التي كانت بها تنشد المكارم فوقعت في محل من قلبها لتنبت شوقاً الى هذا الرجل الصالح الذي ألفت المكارم كلها لديه، وأيقنت ان معرفتها هذا السعيد بمزاياه العظيمة هو أعظم الآثار التي كانت تتشوف اليها من لدن العناية المرجوة .

الآن وجدت محبة الفضائل والمحامد أعظم من تجلى الفضائل والمحامد فيه فكيف ينفر منه قلبها؟! بل كيف لايميل اليه فؤادها؟ فالامانة هو ذلك الشهير فيها وقد سبرته في متجرها فربحت بواسطته أضعافاً ، والشجاعة هو المنشأ فيها على يد عظيم الهمة أبي طالب، والنباهة هو الذي تسطع في محياه طوالعها، والحكمة هو الذي تقرأ في سيماه آياتها، والعفة هو ربها، والمروءة هو مجمع شواردها، ومحاسن الخلقة هو النسخة الصحيحة منها، فأي الفضل تنشد بعد هذا مُحبة الفضل، وأي المحامد تريد بعد هذه مريدة المحامد ؟ كمال خَلق وكمال خُلق ، جمال شخص وجمال نفس ، حنكة لم يظفر بمثلها أقرانه من الشبان . ووقار لم يحظ بأقله الكبار، وهمة لاتقف أمامها الصعاب، وعزيمة لا تني أمام الثقال ، قوي شديد، حليم رشيد، كما يقول فيه عمه أبو طالب وهو به جدير :

فمن مثله في الناس أي مؤمل اذا قاسه الحكام عند التفاضل ؟

حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلها عنه ليس بغافل
لقد علموا ان ابننا لامكذّب لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة تقصر عنه سورة المتطاول

فما أكثر غبطة السيدة «خديجة» اذ عرفت هذا السيد الجليل، وما كان أجدرها بأن يتعلق قلبها الطاهر به، وما أقوى نور فراستها اذ علمت انه لانظير له، وان سعادتها لاتتم الابه، وما أحقها ان تغتنم الفرصة وتسبق الى تزوج هذا الشريف الذي جمع الى شرف النسب شرف الخلال

الفصل الثاني عشر

تفاؤل هذا وقته

كانت الكهانة شائعة في ذلك الزمان كما هو شأنها في كل الازمنة الى زماننا هذا وكان علماء التوراة ينبئون دائما بظهور نبي منتظر وبعضهم كان يقول انه سيظهر من العرب . والراهب بحيرا تفرس بابن أخي أبي طالب اذ كان معه صغيراً وقال له: سيكون لابن أخيك هذا شأن : ولم يكن بعيداً عن المألوف أن يخبر بعض الناس بالمغيبات ولكن لم يكونوا يصدقون كل شيء من هذا القبيل ولا يكذبون كل شيء كما هو الشأن في أهل زماننا أيضاً

وقد كثر التكهن قبيل ظهور النبي (ص) ولكن أكثر الناس لم يكونوا يبالون بتلك الاخبار لانهم تعودوا أن يروا شيئا من كذب الكهانة مع مصادفة صدقها أحيانا فلم تكن الثقة بها في الحقيقة تامة ولا سيا في الامور العظيمة

وبينما نساء من قريش مجتمعات في عيد لهن في الجاهلية اذ تمثل لهن رجل فلما قرب نادى باعلا صوته: يانساء أهل مكة سيكون في بلدكن نبي يقال له أحمد فمن استطاع منكن أن تكون زوجا له فلتفعل . فكذبنه ورمينه بالحصى وكانت فيهن « خديجة » فلم ترمه كما رمينه

لم يكن هذا المنبيء كاهنا معروفا فلذلك احتقره النساء لانهن لا يعبأن في الغالب الا باهل الشهرة . ولكن كان قومهن يعتقدون بالهاتف وهو على اعتقادهم روح ينطق بالشيء من حيث لا يرى أو يتمثل بصورة بشرية فيقول قولا من هذا القبيل ثم يغيب فكأن السيدة « خديجة » اعتقدت ان هذا المنادي هاتف فلم ترمه كما رماه تراتبها ولعلها صدقت اذ ذاك وتفاءلت خيراً ورجت أن تكون صاحبة هذ الحظ

وان صح ظننا هذا بالسيدة كان لنا دليل جديد على عظيم تطلعها الى بركات الجناب القدسي فان الرغبة في تزوج المنبئ عليهم بالنبوة لا تعظم الا من العارفة بذلك الجناب الاعلى الذي يتفضل بخلعة النبوة على من يشاء

كانت النبوة معروفة عند قومها بما سمعوه من أخبار أنبياء جيرانهم بني اسرائيل ومعروف ان النبي رجل كالرجال ولكن يصطفيه الله ويرفع درجة نفسه على درجات سائر نفوس البشر حتى يطلعه على مالم يطلع عليه أحدا من أسرار عالم الغيب ، وليست النبوة ملكا أو حظوظا زائدة من نعيم الدنيا بل جل الانبياء الذين سلفوا كانوا مقلين ولم يكن حظهم الا مقاومة الناس اياهم وتعذيبهم . والنساء انما يرغبن بالنعيم والرفاهية ورغد العيش وكثرة الحلل والحلي وكل هذا لا يرجى لدي الانبياء الذين تنصرف

أنظارهم عن متاع الغرور ويلتفتون الى ما فيه غبطة الروح فلا تتصور السعادة من النساء عند الانبياء الا اللاتي أنعم الله عليهن بسلامة الفطرة وقوة الاستعداد كالسيدة « خديجة »

ولما رجع عبدها « ميسرة » من الشام في تلك السفرة التي ذهب بها مع الهاشمي « محمد » أخبرها بأحوال غريبة رآها منه لا يكون أمثالها الا لمن سمعت أخبارهم من الصالحين المباركين فما لبث أن رن في قلبها صدى ذلك الصوت الذي سمعته بأذنها، صوت ذلك المنادي في النساء المجتمعات اللاتي كانت معهن في العيد . وكان هذا الصدى الذي رن في قلبها تتألف منه هذه الكلمات :

« تفاؤل هذا وقته »

الفصل الثالث عشر

الخواطر في قلب « خديجة »

كانت«خديجة» تعرف أن ليست النبوة بالكسب والاجتهاد وانما هي محض عطاء واختصاص من الحي الازلي الدائم ولكن كانت تعيد على خواطرها ما حكاه لها عبدها« ميسرة » ويرن على أثره ذلك الصدى في قلبها فتقول في نفسها أي مانع يمنع رجائي بفضل الله بأن أكون صاحبة الحظ من الرجل المبارك الذي أنبأ به الهاتف ؟ أي مانع يمنع فضل الله عن قومي اذا أراد أن يخرج منهم ذلك الانسان الذي يقول عنه علماء التوراة وكان لها ابن عم من جملة علماء هذا الكتاب

ثم اذا مرّ بقلبها خاطر آخر يقطع عليها هذه الآمال وينهاها عن هذه الاحلام – التي كانت تراها في اليقظة – ترجع الى الشيء المحقق الذي لا ينازع فيه خاطر ولا يماري فيه حجي وهو ما تحلى به ابن عبد الله من صفات الكمال، فتتمثل في فكرها تلك الطلعة السنية ويلمع أمامها برق من تلك العينين الدعجاوين، وتنسى الشمس وسائر الدراري حين تذكر دائرة ذلك الوجه المتألق ، ويقوى ايمانها بالملائكة اذ ترى في هذا الشخص البشري آيات القدس والطهارة ، فتقول في نفسها أفليس حسبي أن أكون ربة النصيب من فتى قريش الوحيد الذي كمله الله ان لم أكن صاحبة الحظ من الصالح الذي أنبأ به الهاتف

ثم تتراجع اليها الخواطر ويقلبها ذلك الحب الشريف الذي نمت حبته في قلبها على ضروب من الحيرة فتقول في نفسها مرة أخرى: من لي بهذا المكمل الذي مال اليه قلبي وحامت حوله خواطري، وعكفت في دائرة محاسنه نفسي ؛ أليست تمنع العادات بأن أكون أنا الخاطبة ؟ أف للعادات ما أثقل أحكامها ، وما أظلم قضاءها، وما أشد عتمة مسالكها ، وما أسوأ عواقب الجمود عليها ، وما أبخس صفقة الذين لا يتزحزحون عنها ،

نعم نعم أف للعادات فكم أوقفت بعض الاجيال في سجون ضيقة مظلمة من التقليد الضارّ ، وحجبت عنهم أنوار التبصر والتدبر والتفكر ، فانطمست عليهم سبل الارتقاء في معارج الاستحسان والتحسين، وغمت عليهم مطالع السعادة الحقيقية للنفوس

أُفٍ ثم أُفٍ للعادات فهي قاطعة الطريق على نتائج العقول تزج بها في مهاوي العدم ، أو تذرها في سجن أقفر ممنوعاً عنها كل ما يربها ، ويا عجبا

لبني آدم الذين يضعون العادة في هذا المكان من الحكم على نفوسهم والقضاء على عقولهم وقلوبهم أليس لهم مايذكّرهم بأن العادة من صنعة أيديهم وتصوير أحلامهم أليس لهم مايبصرهم بأن العادة يجب ان تكون تابعة لامتبوعة ، ومنقادة لاقائدة ، حتى اذا فتحت أمام بصائرهم أبواب أخرلما هو خير ودعوا عاداتهم تلك محمودة على قدر مانفعت ،ومذمومة على مبلغ ماأضرت،واستقبلوا أخرى مصاحبيها على مقدار مايدوم من أسبابها،وينفع من أبوابها

تبرمت «خديجة» بالعادة كثيراً ،وتأففت من تقلبها طويلاً ،وسردت كل سيئات الجمود عليها في نفسها التي هي أعلى من نفوس النافلين عن المقدمات والنتائج،لما خصها الله من سلامة الفطرة ،وفضل الفطنة،وقوة آلة المعرفة ،ومزيد حرارة الهمة،

ثم عادت تعذر الضعفاء الذين لايستطيعون التغلب على الثابت الراسخ وهم الا كثرون وتذكرت أسباب رسوخ بعض العادات ومنها وفرة فوائدها في أوقات سلفت ،وأحوال مضت ،ورأت ان الناس يرثون من السالفين كل شيء ولا يميلون الى التغيير حتى يميل بهم الدهر ميلة شديدة على يد عاصف من الحوادث، أوهبة شديدة من إرادة بعض الاشخاص، وكم دكت الارادات القوية أطواداً من العادات

ربما كانت هذه السيدة تستطيع التغلب على العادة فلا تجد بأساً بأن تخطبه بنفسها لانها كانت قوية الارادة . ولكن من لها بأنه لا يرد خطبتها وهي أرملة في الاربعين من العمر ، وهو في الخامسة والعشرين يشف محياه عن ماء الفتوة ، وينشر شذى الشباب ، والمرأة مهما قويت ارادتها تذكر

الخيبة فيغلب احجامها اقدامها وهذا بعض أسباب العادة في أن تكون هي المخطوبة

ما أصعب الخواطر على المرأة التي تجد ضالتها من السعادة ولا تستطيع الاقدام على تحصيلها! هي صعبة على الرجل أيضا ولكنها على المرأة أصعب لانها أضعف على كل حال . بيد ان ضعفها الذي زينها الله به في عين الرجل به تمت نعمتها وعلت كرامتها لديه . فقوة الخفر والحياء من ضعفها، وذلك أعظم حلية طبيعية تزدان بها،ومن عطل من هذه الحلية منهن رغب عنها الكرام من الرجال . وشدة الرحمة من ضعفها وما أعلى وأجمل وأزين هذا الضعف الذي بدونه تمقت المرأة . والجبن من ضعفها ولولاه لما حصل الاعتدال في اقتسام الاعمال بينها وبين الرجل

فماذا تصنع قوة ارادة السيدة « خديجة » أمام شدة خفرها وحيائها، وماذا تنفع شجاعتها أمام خشيتها من الخيبة ، وماذا تجدي قوة عزيمتها وصبرها عند المزعجات من خواطر الحب الشريف الذي ملأ قلبها الطاهر بعد ان كان حبة صغيرة ألقيت فيه

اللهم رحماك فليست القلوب من حديد،ولم تقدّ من صخر،ان نسيم الخواطر فيها يصدع ان جاءها برائحة اليأس،ويرأب ان أتاها برائحة الرجاء، وكذلك كانت خواطر السيدة « خديجة » صادعة ورائبة،بيد ان رجاءها كان أغلب ، ولو كشف لها الغطاء عما يحف بها من السعادة المنبية عنها اذ ذاك لانقلب رجاؤها يقينا . ولكن لتستكمل الغرائز حظها من النفوس كتب على الانسان ان يغيب عنه آتيه من السعادة والشقاء فترى منحوسا يضحك ويلعب والشقاء يساوره عما قريب يأخذه بياتاً أو يصبحه وسا

صباحاً . وترى مسعودا يتململ ويمسي ويصبح على مضاجع الحيرة والارق واجماً سادماً والسعادة من حوله مرفرفة بأجنحتها ستقف مما قريب على رأسه وتشمله ويتبارك بها بيته

فما أشد حاجة هذه السيدة السعيدة في مواقف حيرتها تلك الى هاتف يبشرها بقرب اتصال السعادة التامة بها . ما أشد حاجتها الى من ينبئها بأنها هي الجوهرة النفيسة التي أعتدت لذلك الذي ميزته العناية الازلية أكل تميز . ولكن ليظهر مزيد فضلها في الميل الى رب الفضائل والمكارم التي لاتباري حجب عنها كل هاتف وحبست عنها البشري حتى أخذت الخواطر حظها من قلبها الكريم وتمكن منه كل التمكن ذلك الحب الشريف لذاك الذي أجمعت فيما بعد قلوب الملايين التي لاتحصى على حبه

الفصل الرابع عشر

الزواج

لابدع اذا قلب الشوق نفوس المحبين في يد الخواطر كالكرة بيد اللاعب فان قوام الكائنات بشوق ذراتها بعضها الى بعض وكان جديرا أن يتجلى هذا المعنى بزيادة في غريزة خليفة الله في الارض نعني الانسان . كيلا يكون بنو آدم وحواء أنقص من الجمادات حظا في هذا الناموس الكبير الفائدة .

فبعد أن تمكن من «خديجة» الشوق الشريف هذا التمكن أصبحت جديرة ان تتناول هدية سعادتها ، وتنكشف لها الحجب عن الرحمة التي

ترعاها، فهبط على قلبها خاطر جديد كان به الوصول الى النعمة الجديدة

خطر لها ان تبعث الى الذي سكنت مكارمه ومعاليه فؤادها رسولاً تسبر به رغبته وتستنبيء به سعدها مما ينزل على قلبه من الالهام بهذا الشأن وساقها الى هذا الخاطر قوة رجائها بالله سبحانه وحسن ظنها بأن هذا المكمَّل لا يرد رغبة مثلها وهي الجامعة لصنوف من المعالي يقل اجتماعها في سواها

كانت لها صديقة اسمها «نفيسة» (وهي أخت يعلى بن أمية) فقصت عليها حديثها وائتمنتها على هذه الرسالة ولم يكن بالصعب أن تؤدي الصديقة هذه الامانة لانها ستتكلم كأنها صاحبة رأي تشير به حتى اذا وجدت مجالا كانت وكيلة بابداء القبول

لم تكن النسوة اذ ذاك محتجبات ولم يكنَّ ممنوعات من مكالمة الرجال فلم تكن رسول «خديجة» محتاجة الا لشيء من قوة الجنان أمام ذلك المهيب العظيم وقد أمدت من سعد مرسلتها بحظ منه

ومن يكن راعيه السعد فقل ماشئت في تيسير مايرجوه

جاءت «نفيسة» هذه ابن عبدالله وفي القبيلة الواحدة يعرف الناس بعضهم بعضاً فقالت له مايمنعك أن تتزوج فاعتذر لها بقلة المال اللازم للقيام بشؤون العائلة قالت له فان كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاءة قال لها «ومن؟» قالت له «خديجة»

قالت هذه الكلمة وصمتت تنتظر ماسيبدو منه وأحدث هذا الكلام حركة في فؤاده وبأي شيء يتحدث ذلك الفؤاد الطاهر حينئذ الا بقوله : خديجة الشريفة المعروفة بالطاهرة ، هي المناسبة، هي الموافقة، هي الصالحة

اذهبي يانفيسة فاني سأخطبها

فرجعت تحمل هذه البشرى وكانت ميمونة النقيبة في هذه الرسالة فالله يعلم كيف أجزلت السيدة خديجة كرامتها ولم تنتظر كثيراً حتى أتى خاطباً ومعه عمه حمزة فقال عمها عمرو بن أسد بن عبدالعزي « هو الفحل لايقدع أنفه » وهو مثل عربي يقال للكفؤ الذي لايرد ان خطب

ما كان هذا الخاطب الكفؤ غنياً اذ ذاك ولكنه لم يكن أيضاً معدماً فهو من آل عبد المطلب العامرة بيوتهم بقرى الضيفان واغاثة اللهفان وفي هـذا السبيل تذهب أموالهم ثم يخلف الله عليهم من وجوه المكاسب وأبواب المرابح بما أوتوا من الهمم والشمم ولم يكن اعتذاره ذلك اعتذار المعدمين وانما هو اعتذار المتربص أن يتوفر له مقدار أكبر . فمع قلة ماله في ذلك الحين أصدقها عشرين بكرة لان اعطاء الرجل للمرأة صداقا سنة عربية لم يكن ليحسن تركها

والزواج العربي ليس محتاجا الى رؤساء ديانات، ولا تلاوة الرؤساء صلوات، بل هو عقد كسائر العقود المدنية يتوثق برضا المرأة وأوليائها ورضا الرجل، فبخطبةٍ من الرجل وتقديمه الصداق واجابةٍ من المرأة وأوليائها تصبح المرأة زوجة شرعية للخاطب . وهكذا أصبحت « خديجة » الطاهرة زوجة « محمد » الامين بكلمة أعلنها عمها عمرو بن أسد فما أعظمها من كلمة جمعت بين القمرين !
